نورمان **فينكلستين** – *Norman* **Finkelstein**
(نمـــــــوذج للاستـــشراق المعـــتدل ـ دراسة تحليليَّة نقدية)

مريم بنت سالم محمد باكوبن

ملخص البحث

أهمية البحث: تتجلَّى من خلال إلقاء الضوء على مواقف الاعتدال لدى شخصيَّة الدراسة، وتوظيفها إيجابيًّا بما يخدم القضية الفلسطينية، وبما يبرز قيمة الإنصاف في الإسلام؛ لتحفيز المستشرقين المعتدلين لقبول دعوته.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعرف على معنى الاعتدال والإنصاف وضوابطهما، كما يهدف إلى التعرُّف على شخصية الدراسة من خلال التحليل والنقد لنماذج من إنتاجها العلمي.

منهج البحث: قام البحث على عدة مناهج، منها: المنهج التحليلي والنقدي والنقلي.

تقسيمات البحث: اشتمل على مقدِّمة، وتَمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، كالآتي:

التمهيد: في مفهوم الاعتدال والإنصاف وضوابطهما.

المبحث الأول: في التعريف بنورمان فنكلستين، وفيه أربعة مطالب: مولده ونشأته وحياته، ومكانته العلمية والسياسية، وأبرز مؤلفاته ومشاركاته، ومنهجه في الكتابة.

المباحث الثاني والثالث والرابع: عبارة عن قراءة تحليلية نقدية لثلاث كتب لشخصية الدراسة على التوالي: صناعة الهولوكوست، وما يفوق الوقاحة، والتمادي في المعرفة، ويتناول كلُّ مبحثٍ مطلبين: عرضٌ لأهم محتويات الكتاب، ثمَّ نقدٌ لأفكاره.

أهمّ النتائج: تصنَّف شخصيَّة الدراسة ضمن الشخصيات الاستشراقية المعتدلة، حيث تبنَّت نصرة القضية الفلسطينية، والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، والتنديد بانتهاكات إسرائيل المتكررة بحقهم، ويظهر ذلك من خلال مشاركاتها الإعلامية، وكتاباتها الرصينة.

أبرز التوصيات: ضرورة إنشاء مراكز دراسات بحثية لدراسة الغرب، تقابل مراكز الدراسات الاستشراقية، بهدف التعرُّف عليهم عن كثبٍ، وفهم فكرهم، واستيعاب تراثهم، للانطلاق من ذلك في دعوتهم إلى الإسلام، وصدِّ هجماتهم عليه.

ووجوب إحياء القضية الفلسطينية في نفوس المسلمين بكل الوسائل، وشتى الأساليب، والتعريف بها بكلِّ اللغات، والسَّعي الجاد لنصرة أهلها، وتحرير الأقصى من براثن يهود.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، نبيِّنا وحبيبنا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله الطيِّبين، وأزواجه الطَّاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهداهم إلى يوم الدِّين، وبعد:

ويتَّضح ذلك جليًّا لمن يدرس التاريخ في فتراته المختلفة، ويحلِّل الواقع المعاصر في أحواله المتعدِّدة، وانظر إن شئت إلى جَلَدِ أعداء الإسلام في مقاومة انتشاره، واستبسالهم في القضاء عليه، وتأمَّل سلوكهم لأجل تحقيق ذلك مسالك شتَّى؛ رُبَّما كان من أكثرها

مكرًا، وأشدِّها فتكًا، وأعظمها أثرًا ما يُعرَف (بالدراسات الاستشراقية) التي اتَّخذ الغرب منها قاعدةً صلبةً انطلقوا منها في حربهم على الإسلام، وقصدهم الفتك بأهله.
والمسلمون وإن كان من أوجب واجباتهم تجاه دينهم، وحماية أوطانهم؛ الإعداد الجيِّد لمواجهة هؤلاء الأعداء بكلِّ أنواع الإعداد، وأفضل أدواته المشروعة التي يفرضها الواقع، إلَّا أنَّ من لطف الله Y بعباده، وكمال تدبيره لدينه؛ أن سخَّر من هؤلاء المستشرقين مَن يشهدُ بما في الإسلام من محاسن، ويدعم المسلمين في كثيرٍ من القضايا، وأجرى الله الحقَّ على ألسنة بعضهم، فقالوا كلمة حقٍّ ربَّما يعجز عن الصَّدح بها -أحيانًا- بعض أبناء الإسلام، والمنتسبين إليه.
ومن جملة هؤلاء المعتدلين شخصية هذه الدراسة (نورمان فينكلستين) فهو أمريكيٌّ يهوديٌّ، وأستاذٌ جامعيٌّ، وباحثٌ سياسيٌّ معروف بمناصرته للقضية الفلسطينية، وتنديده بسياسة إسرائيل القمعية تجاه أهل فلسطين، وتجريمه لانتهاكاتها المتكررة للقوانين الدولية، وقد سخَّر قلمه السَّيال في العديد من مؤلفاته، كما أطلق لسانه بالحجة والبيان لإبراز الحقائق وإثبات البراهين التي تكشف حقيقة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وملابساته، وتظهر التواطؤ الإسرائيلي الغربي ضد حقوق شعب فلسطين؛ فاكتسب بهذه المواقف بُغض بني جنسه يهود، ووصموه بأنَّه معادٍ للسامية، وما زال به بعضهم حتَّى ناله الأذى وفقد وظيفته بسبب تلك المواقف.
والقضية التي تناصرها شخصية البحث هي القضية الفلسطينية؛ القضية الأثيرة في قلوب المسلمين؛ ففي فلسطين: القدس الشريف؛ محضن المسجد الأقصى، أولى القبلتين، ومسرى النبي ρ، وثالث الحرمين الشريفين، الذي تهفو أفئدة المسلمين من كلِّ مكانٍ للصلاة فيه، وتتلهَّف لتحسُّس جدرانه ومآذنه، وتفقُّد باحاته ومنابره.
وشعب فلسطين الأبي لا يزال يناضل من أجل تحرير القدس العقود تلو العقود؛ لا تفتُّ من عزيمته محاولات التركيع، ولا تثنيه جهود التطبيع، والواقع يشهد، ودماء الشهداء تشهد بأنَّ القدس قضيَّة عقديَّة، لا يمكن أن يعفوها الزمن، أو تتجاوزها المحن، فرغم التآمر العالمي، والتواطؤ الغربي مع إسرائيل إلَّا أن النضال يجري في عروق أبناء فلسطين الأباة مجرى الدماء، وتروي الشجاعة من بطولاتهم أشرف الحكايات، وتحكي أكرم القصص والأنباء.
وتأتي هذه الدراسة ضمن سلسلة الدراسات العلمية للمستشرقين المعتدلين، والتي تهدف إلى رصد مواقفهم المعتدلة تجاه الإسلام وقضايا المسلمين، وتسعى لتوظيفها إيجابيًا بما يعود على أصحابها بالخير، وبما يدعم قضايا المسلمين.
والله أسأل أن يُصلحَ نيَّتي، ويُسدِّدَ خُطاي، ويُنيرَ بصيرتي، ويهديَني طريق الحقِّ، وسواء السَّبيل، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

أهمية الموضوع: ترجع أهمية موضوع الدراسة إلى ما يأتي:
١. تُبرِز الدراسة قيمة الإنصاف لدى المسلمين، وتعزِّزها في نفوسهم، وتعمل على

تحسين صورة المسلمين أمام الآخر، من خلال ما تقوم به من تثمينٍ للمواقف الإيجابية الصَّادرة عن هذا الآخر.

٢. تُساهم الدراسة في تحفيز المستشرقين غير المعتدلين لتطبيق العدل والإنصاف مع المسلمين، والنَّظر بحياديَّة إلى دينهم وقضاياهم، كما تعمل على تعديل الصورة الخاطئة عن الإسلام لدى هؤلاء، والتي تنطلق من خلفيتهم الفكريَّة والدينيَّة البعيدة عن الحقيقة والواقع.

٣. يُستفاد من الموقف الإيجابي لشخصية الدراسة تجاه القضية الفلسطينية في التأثير على الرأي العام لدى المجتمعات الغربية وتوجيهه، وكذلك في الضغط على صانعي القرار في الدول الغربية لتحقيق العدالة وتطبيقها على أرض الواقع.

٤. يُستفاد من الدراسة في كشف حقيقة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وإبراز دور اليهود في تزييف الحقائق وتضليل الشعوب، وكون التبصير يصدر من بني جلدتهم فإنه يكون أبلغ في الردِّ، وأقوى في التأثير.

٥. تزيد الدراسة من إيمان المؤمنين بحفظ الله لدينه وتكفله بنصره وتأييده، من خلال المعاينة الواقعية لإنصاف بعض المخالفين في الدين، وهو مصداق قول المصطفى ρ: "إنَّ الله ليُؤيِّدَ هَذا الدِّين بِالرَّجلِ الفَاجِرِ"(١)، ويدخل في هذا الوصف الكافر.

٦. تزيد الدراسة من إيمان المسلمين بقضاياهم، وتُعزِّز من ثباتهم على مبادئهم، وتؤصِّل لدفاعهم عن حقوقهم، وتشحذ الهمم للاستبسال في سبيل ذلك، والمسلمون بلا شكَّ أولى بالدفاع عن حقوقهم، وأجدر بالثبات على مبادئهم، وأحرى بالتضحية لأجلها.

٧. تُساهم الدراسة في رفع الثقة بدين الإسلام لدى المنهزمين من أبناء المسلمين أمام سطوة الغرب، والخاضعين لجبروته وطغيانه.

أسباب اختيار الموضوع: تتلخَّص أهمُّ أسباب اختيار الباحثة للدراسة الحاليَّة في الآتي:

١. التأكيد على أهميَّة استثمار مواقف الإنصاف من غير المسلمين في تعزيز جوانب الخير لديهم، وتوجيه الاهتمام لهم، ومحاولة استمالتهم وجذبهم إلى الإسلام، وفي موقف النبي ρ مع النجاشي ملك الحبشة درسٌ يُقوَّم، ومثلٌ يُحتذى.

٢. الرغبة في التعرُّف على شخصية البحث وفهم منهجها الفكري ومنطلقها في تبنِّيها للمواقف؛ لكونها شخصية يهودية ومعروفٌ تعصب اليهود لدينهم وجنسهم، ومع ذلك كان لهذه الشخصية موقفٌ معتدلٌ تجاه القضية الفلسطينية، وتجرُّدٌ واضحٌ في كشف حقيقة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

٣. لفت الانتباه إلى ضرورة الاستفادة من مواقف شخصية الدراسة ومثيلاتها في دعم قضايا الإسلام والمسلمين على أرض الواقع.

---

(١) متفقٌ عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: المغازي، باب: العمل بالخواتيم (ص:٨٦٧،ح:٤٢٠٤)، واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (ص:٤٢،ح:١٧٨).

٤. شحذ همم المناضلين عن القضية الفلسطينية، ودعم ثباتهم على مبادئهم، وبث روح الأمل في الأمة، وتجديد اليقين بموعود الله في نصرة الحقِّ، وتحرير أرض فلسطين.

أهداف البحث: يرمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:
١. التعرُّف على معنى الإنصاف والاعتدال، والمراد بهما، وضوابطهما.
٢. التعريف بنورمان فينكلستين وسيرته الذاتية.
٣. القراءة التحليلية النقدية لكتابه صناعة الهولوكوست.
٤. القراءة التحليلية النقدية لكتابه ما يفوق الوقاحة.
٥. القراءة التحليلية النقدية لكتابه التمادي في المعرفة.

حدود البحث: للبحث حدودٌ موضوعيةٌ وزمانيَّةٌ ومكانيَّةٌ، تتلخَّص في الآتي:
تتمثَّل الحدود الموضوعية: في التعرف على الشخصية محل الدراسة، وتسليط الضوء على مواقفها المعتدلة تجاه قضايا المسلمين عموماً، وقضية فلسطين على وجه الخصوص من خلال القراءة التحليلية النقدية لثلاث من مؤلفاتها.
أمَّا الحدود الزمانيَّة: فهي ممتدَّة بامتداد حياة الشخصية محل الدراسة، وما يصدر عنها من مواقف معتدلة تجاه قضايا الإسلام والمسلمين.
كما تشمل الحدود المكانيَّة: أي بلدٍ وُجِد فيه مسلمون، وكان للشخصية محل الدراسة موقفًا إيجابيًّا من قضاياهم، وعلى الأخصِّ دولة فلسطين.

مشكلة البحث وتساؤلاته: لمَّا ظهر الاستشراق، وقامت مراكز الدراسات والأبحاث الاستشراقية، وتكشَّفت نواياه وخباياه المشبوهة؛ انبرى علماء الإسلام لمواجهته نقدًا وتمحيصًا لمادَّته، وتفنيدًا وردًّا على زيفه وتضليله، ومعالجةً لأضراره وآثاره.
وبرز هناك صوتٌ يدعو إلى لفت الانتباه إلى إيجابيَّات هذه الدراسات، ويؤكِّد على وجوب استثمار الشهادات الصادقة، والمواقف النبيلة، وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي تعود بالخير على واقع المسلمين، وعلى أصحابها.
وتصبُّ هذه الدراسة في هذا المسار، فهي تقوم بدراسة شخصية من هذه الشخصيَّات الاستشراقيَّة المعتدلة، والتَّعريف بها ومواقفها وتوجُّهاتها، ويتفرَّع عن هذه المشكلة التساؤلات التالية:
١. ما معنى الاعتدال والإنصاف، وما ضوابطهما؟
٢. من هو نورمان فينكلستين وما سيرته الذاتية؟
٣. ما نتائج القراءة التحليلية النقدية لكتاب صناعة الهولوكوست؟
٤. ما نتائج القراءة التحليلية النقدية لكتاب ما يفوق الوقاحة؟
٥. ما نتائج القراءة التحليلية النقدية لكتاب التمادي في المعرفة؟

الدراسات السابقة:
بعد البحث في قوائم المكتبات العلمية الرقمية، وروابط الشبكة العنكبوتية، وباستخدام أدوات التكشيف البحثية، لم تقف الباحثة -حسب علمها -على دراسةٍ سابقة مطابقةٍ لعنوان هذه الدراسة، وبذلك تكون الدراسة الحالية أول دراسة علميَّة تبحث في شخصية الدراسة.

منهج البحث: يقوم البحث على المناهج الآتية:
١. **المنهج التحليلي:** الذي يقوم على تحليل مؤلفات شخصية الدراسة ومواقفها ودراستها.
٢. **المنهج النقدي:** الذي يقوم على تقييم إنتاج شخصية الدراسة، وتوضيح إيجابياته وسلبياته.
٣. **المنهج النقلي**: الذي يستند على النُّصوص من الكتاب والسنة؛ لتعزيز وجهة نظر الباحثة.

التمهيد: معنى الإنصاف والاعتدال وضوابطهما

المطلب الأول: معنى الإنصاف والاعتدال

أولًا: معنى الإنصاف:
الإنصاف لغةً:
مصدرٌ من الفعل الرُّباعي المزيد (أنصَفَ)، وأصله ثلاثيٌّ صحيحٌ (نَصَفَ)، يدلُّ على شطر الشَّيء، أو على جنسٍ من الخدمة والاستعمال[٢]، والنِّصفُ: أحد جُزأي الشَّيء، يُقال: انتصف منه: أي استوفي حقَّه منه كاملًا حتى صار على النِّصف سواء[٣]، فالأصل في معنى الإنصاف، إعطاء النِّصف، ثمَّ جرى استعماله بمعنى: العدل، فيُقال: أنصفَ الرجل إنصافًا: إذا عامله بالعدل والقسط وأعطاه ما يستحقُّه[٤]، فالإنصاف يعني المناصفة، ويأتي بمعنى العدل والقسط.
الإنصاف اصطلاحًا:
عُرِّف الإنصاف اصطلاحًا تعريفاتٍ خاصَّةٍ وعامَّةٍ، فمن الخاصَّة ما جاء في كتاب (التعاريف) من أنَّ: "الإنصاف في المعاملة العدل، بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه ولا يُنيله من المضار إلا كما يُنيله"[٥].
ومن التعريفات العامَّة للإنصاف أنَّه: "استيفاء الحقوق لأربابها، واستخراجها بالأيدي العادلة، والسِّياسات الفاضلة"[٦].

---

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٣٤٦/٥)، مادة: نَصَفَ.
(٣) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (٢٠٧/٣)، والزبيدي، تاج العروس (٤١٤/٢٤)، مادة: نَصَفَ.
(٤) ينظر: الجوهري، الصحاح (١٤٣٣/٤)، وابن منظور، لسان العرب (٣٣٠/٩)، مادة: نَصَفَ.
(٥) المناوي، التعاريف (ص:٦٥).
(٦) المرجع السابق (ص:٦٥)، وموسوعة نضرة النعيم (٥٧٧/٣).

ثانيًا: معنى الاعتدال:

الاعتدال لغةً: مصدرٌ من الفعل (اعتَدَلَ)، وأصله ثلاثيٌّ صحيحٌ (عَدَلَ)، يدلُّ على استواءٍ، كما يدلُّ على اعوجاجٍ[٧]، والمراد به هنا العدلُ، وهو ضدُّ الجور، وما قام في النُّفوس أنَّه مستقيمٌ[٨]، ويأتي أيضًا بمعنى: الإنصاف والمساواة[٩]، والمثل والنظير[١٠]، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [المائدة:٩٥]، والاعتدال: يفيد توسُّط حالٍ بين حالين في كمٍّ أو كيفٍ، فيقال: ماءٌ معتدلٌ بين الحارِّ والبارد، وجسمٌ معتدلٌ بين الطُّول والقِصَر[١١]، فالاعتدال يفيد التوسُّط بين الأمور، كما يفيد معنى الإنصاف والمساواة والمماثلة ومجانبة الظلم والجور.

الاعتدال اصطلاحًا:

جاء في (تهذيب الأخلاق) أنَّ العدل هو: "القسط اللازم للاستواء، وهو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرفٍ ولا تقصيرٍ، ولا تقديمٍ ولا تأخيرٍ"[١٢].

وعرَّفه صاحب (التعريفات) بأنَّه: "عبارةٌ عن الأمر المتوسِّط بين طرفي الإفراط والتفريط"[١٣].

وعلى هذا يكون الاعتدال: "التزام المنهج العدل الأقوم، والحقِّ الذي هو وسطٌ بين الغلوِّ والتنطُّع، وبين التَّفريط والتقصير"[١٤].

ثالثًا: الفرق بين الإنصاف والاعتدال:

هناك من يرى ترادف اللفظتين، وألَّا فرق بينهما، فالعدل والإنصاف في نظره توأمان نتيجتهما علوُّ الهمَّة، وبراءة الذمَّة باكتساب الفضائل وتجنُّب الرذائل[١٥].

وهناك من يرى أنَّ الفرق بينهما طفيفٌ، فالإنصاف أخصُّ إذ الأصل فيه أن تعطي نصف الشَّيء، وتأخذ نصفه من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، ثم استُعمل في غير ذلك، بخلاف العدل الذي يتَّسع ابتداءً فيشمل النِّصف وغيره[١٦].

---

(٧) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٠٠/٤)، مادة: عَدَلَ.

(٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٤٣٠/١١)، والزبيدي، تاج العروس (٢٤٣/٢٩)، مادة: عَدَلَ.

(٩) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٠١/١٤)، والزيات وآخرين، المعجم الوسيط (٥٨٨/٢)، مادة: عَدَلَ.

(١٠) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (١٣/٤)، والزيات وآخرين، المعجم الوسيط (٥٨٨/٢)، مادة: عَدَلَ.

(١١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٤٣٠/١١)، والزبيدي، تاج العروس (٢٤٨/٢٩)، مادة: عَدَلَ.

(١٢) الجاحظ، تهذيب الأخلاق (ص:٢٨).

(١٣) الجرجاني، التعريفات (ص:١٤٧).

(١٤) العقل، مفهوم الوسطية والاعتدال (ص:٦).

(١٥) ينظر: المناوي، التعاريف (ص:٦٥).

أمَّا عند دراسة الاستشراق: فيرى البعض وجود فارقٍ بين الاعتدال والإنصاف، فالمستشرق المعتدل، هو من يتساوى حقُّه وباطله، وتكون مزاعمه بعيدةٌ عن التعصُّب، ولا تمسَّ جوهر الدِّين، أو تتجنَّى على أصوله، بينما يتجاوز المنصف في نظرهم ذلك المعتدل بتغلُّبه على عقدة ما وراء المادة، وإدراك ثغرات المنهج المادي، وقصد العدل والحق دون مغالطةٍ أو كبرٍ[١٧].

وسيجري استعمال لفظ الاعتدال كأصلٍ في هذه الدراسة، وإن جرى سبق القلم بوصف الإنصاف فالمراد به الترادف في المعنى، لا دقة اللَّفظ، وخصوصيَّة المعنى.

المطلب الثاني: ضوابط الإنصاف الاعتدال

يتوارد على الذهن عند إطلاق ضوابط الإنصاف والاعتدال ما ورد في كتب الحوار وآدابه ومُنطلقاته وأبجديَّاته، سواءً كان هذا الحوار مع الموافق، أو المخالف، ويتأكَّد الالتزام بهذه الآداب مع المخالف؛ لاحتمال الشُّعور بالوحشة تجاه المخالف، ووقوع النُّفور منه، ولن أتطرَّق هنا لهذه الضوابط والآداب؛ فليست هي بيت القصيد فيما أريد، ويحسن لمن أراد الوقوف عليها الرجوع إليها في مظانِّها[١٨].

والمراد بضوابط الاعتدال والإنصاف في هذه الدراسة؛ الضوابط التي يمكن الحكم وفقها على المستشرق بالاعتدال والإنصاف، فقد وضع أهل العلم بعض القواعد التي يمكن أن يتوصَّل من خلال قياس مدى توافرها لدى المستشرق إلى جواز وصفه بأحد هذين الوصفين.

ومن أهمِّ هذه الضوابط[١٩]:

١. اعتماد المستشرق على المصادر والمراجع الإسلامية كأساس في دراسته، واحتكامه إلى الأمانة العلمية في ذلك.

٢. تبنِّي المستشرق المنهج الموضوعي الذي يقوم على تقصِّي الحقيقة المجرَّدة، والبحث عنها، ويهدف إلى اكتشافها، بعيدًا عن التشوية والتعتيم.

٣. تحرِّي المستشرق للعدل والإنصاف والتزامه النقد العلمي لمناهج المتعصبين والمغالين.

٤. التزام المستشرق بأخلاقيات البحث النَّزيه، وتجنُّبه الألفاظ النابية والبذاءة والتجريح.

٥. فصل المستشرق بين حقيقة الإسلام وواقع المسلمين، وعدم الخلط بينهما، فلا

---

(١٦) ينظر: العسكري، الفروق اللغوية (ص:٨٠).

(١٧) ينظر: الهاشمي، منهج المستشرقين بين معايير الإنصاف وضوابط المصداقية (ص:٧٧-٧٨).

(١٨) ينظر: الشتري، أدب الحوار، وطنطاوي، أدب الحوار، والمغامسي، الحوار (آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية)، وخوجه، الحوار (آدابه وتطبيقاته وتربية الأبناء عليه)، وكامل، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، وغيرها كثير.

(١٩) ينظر: الهاشمي، منهج المستشرقين بين معايير الإنصاف وضوابط المصداقية (ص: ٧٨-٧٩).

يصحُّ الحكم على الإسلام من خلال سلوك أتباعه.
وإلى جانب تلك الضوابط فثمَّة علامات يمكن اعتبارها من دلائل الإنصاف والاعتدال، منها[٢٠]:

١. تعرُّض المستشرق للأذى من قِبَل أتباع ملَّته أو حكومة بلاده، كأن يُطرد من الكنيسة، أو يُفصل من عمله، أو يُمنع تداول كتبه التي تبنَّت الإنصاف مع الإسلام، والمصداقية في طرحه.

٢. انتقال المستشرق من الميدان الأكاديمي إلى الميدان الإعلامي؛ فلا يكتفي بنشر قناعاته في الوسط العلمي، بل يوظِّفها توظيفًا إيجابيًا في المجال الإعلامي، مما يضفي على إنجازاته العلمية معنًى إنسانيًّا رائعًا.

٣. اعتناق المستشرق للإسلام، وتبنِّيه دين الهدى والسلام، وتفانيه في خدمته والدِّفاع عنه، ويعتبر بهذا التحوُّل مسلمًا بريئًا من ثُلمة الاستشراق.

ومع أهميَّة استصحاب هذه الضوابط، وملاحظة تلك العلامات أثناء تقييم أعمال المستشرقين وجهودهم، إلَّا أنَّ هناك بعض المحترزات التي ينبغي التنبُّه لها، وعدم إغفالها، من أهمِّها[٢١]:

١. لا ينبغي مع الاعتراف بالفضل للمستشرقين لقاء ما قدَّموه من فائدةٍ ونفعٍ أن يُعفَوا من تَبِعة الإنكار والإساءة وإثارة الشبهة حول ما يختلفون فيه مع الإسلام من وجهة نظرهم، ولا يمنع احترامنا آراء الآخرين من مشروعية الغضب لله ولرسوله ولدينه الذي يُتَّهم بغير حقٍّ، ويُلصَق به ما ليس فيه.

٢. ينبغي الاستفادة من قواعد علم الحديث في الجرح والتعديل وعلم الرجال في الحكم على المستشرقين، فهي خير ما يُنتَهج للحكم على المستشرقين وإنتاجهم، وخير ما يُتوصَّل به إلى تحقيق العدل وقصد الإنصاف معهم.

وبهذا يُفهم أن المنطلق في تقييم المستشرقين ينبغي أن يقوم على إنصافهم، ووزنهم بميزان العدل والحقِّ، دونما تحيُّزٍ أو تعصُّبٍ، ومن غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، مع التزام الموضوعية، ونهج الشفافيَّة، فيُقال للمحسن أحسنت، وللمسيء أخطأت، تطبيقًا للأمر الإلهي، واقتفاءً للنَّهج النبوي، فقد أثنى عليه الصلاة والسلام على أبي العاص بن وائل زوج ابنته زينب رضي الله عنهما، وكان إذ ذاك مشركًا وقع في الأسر يوم بدر، وجاءت زينب س لفدائه، فأثنى النبي ρ على مصاهرته خيرًا، وقال عنه: "حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي"[٢٢].

---

(٢٠) ينظر: المرجع السابق (ص:٧٨-٧٩).

(٢١) ينظر: الهاشمي، منهج المستشرقين بين معايير الإنصاف وضوابط المصداقية (ص:٧٦).

(٢٢) أخرجه أبو داوود في سننه في كتاب: النكاح، باب: ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (ص:٤١٩،ح:٢٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داوود، ينظر: (٦٩/٥، ح:٢٠٧١).

كما لا يعني ذلك الاغترار بما يصدر عنهم من أقوالٍ أو مواقف دون تمحيصٍ، بل ينبغي النظر إلى مجمل أحوالهم، وفحص مواقفهم وعلاقاتهم، وتبيُّن صدقهم من زيفهم؛ لئلا نقع تحت غائلة الخداع أو التضليل، بل بمنطق لست بالخبِّ، ولا الخِبُّ يخدعني.

المبحث الأول: التعريف بنورمان فنكلستين

المطلب الأول: مولده ونشأته وحياته:

أولًا: نسبه ومولده:

هو نورمان غاري فينكلستين، من مواليد ٨ ديسمبر من عام: ١٩٥٣م، أمريكيُّ الجنسيَّة، يهوديُّ الأصل، ملحدٌ، ينحدر من أسرةٍ بولنديَّةٍ[٢٣].

كان والداه -كما يُذكَر -ممَّن نجا من معسكرات الاعتقال النازيَّة، فنجا والده زكرياس فينكلستين من معسكر أوشفيتز النازي، كما نجت والدته ماريلا هاسيت من معسكر ماجدونيفيك بعد أن فقدت والدها وأخويها، وقد أثَّرت مواقف أمِّه المعارِضة لحرب فيتنام في شخصيَّته تأثيرًا بالغًا، وغرست فيه الرفض لكلِّ أنواع الظُّلم، والبُغض لكافَّة أشكال العنصرية[٢٤].

ثانيًا: نشأته وحياته:

نشأ فينكلستين مع أسرته في بورا بارك، وهي منطقة سكنيَّة قائمة بذاتها، لم تكن أسرته فقيرة، ولكنها كانت بسيطة، كان والده يعمل في مصنع، وأمُّه ربة بيت، وعانا والداه من التعذيب في معسكرات الاعتقال النازية، إلَّا أنَّ الحظ كان حليفًا لهما؛ فكُتِبت لهما النجاة والحياة، فتعلَّم مما جرى لوالديه ألَّا يسكت عن الظلم، واكتسب منهما الالتزام الأخلاقي؛ لذا تراه لا يتردَّد عن التنديد بما تقوم به إسرائيل من جرائم في حقِّ الشعب الفلسطيني، ويصفها بالدولة الهمجيَّة والشيطانيَّة التي خرجت من الجحيم؛ ممَّا أثار حفيظة العديد من الصهاينة اليهود عليه، فاتَّهموه بالشَّخص الحقود والمعادي للساميَّة؛ حتَّى وصفه دارفيتشز بأنَّه لا تربطه باليهود علاقة سوى كون والديه يهوديَّين، ولقبه اليهودي، وأمَّا ما عدا ذلك؛ فهو معادٍ للسامية[٢٥].

حدَّث فينكلستين عن نفسه عندما دُعي لإلقاء محاضرة في جامعة واترلو، وأثارت فتاة يهوديَّة المحرقة اليهوديَّة لاستعطاف الحاضرين، وموجِّهةً النقد لفينكلستين بسبب معاداته

---

(٢٣) ينظر: نورمان فينكلشتاين، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط:http://cutt.us/UTNZD .

(٢٤) ينظر: مقال: ليس كل اليهود صهاينة: نورمان فينكلستين نموذجًا، منتديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب، على الرابط: http://cutt.us/oaPw.

(٢٥) ينظر: مقال: ليس كل اليهود صهاينة: نورمان فينكلستين نموذجًا، منتديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب، على الرابط: http://cutt.us/oaPw.

المستمرَّة لكلِّ ما يفعله الصهاينة، فردَّ بالآتي: "أنا لا أحترم ما تفعليه الآن مطلقًا، لا أحبُّ ولا أحترم دموع التماسيح، لا أحبُّ أن ألقي للجمهور كارت المحرقة اليهوديَّة، ولكني الآن مضطرٌّ لأن أقول: والدي الراحل كان في معسكر أوشفينز، وأمي الراحلة كانت في معسكر الاعتقال ماجدونيفيك، كلُّ فردٍ في عائلتي أُبيد، كلُّ من والديَّ كانا في ثورة غيتو وارسو، ولذلك تحديدًا بسبب ما تعلَّمته أنا واثنين من إخوتي من دروس والديَّ؛ لن أصمت عندما ترتكب إسرائيل جرائمها ضدَّ الفلسطينيين، لا أستطيع تخيُّل أيِّ شيءٍ أحقر من استغلال معاناة آبائي واستشهادهم لأبرِّر التعذيب، الوحشيَّة، تهديم البيوت، الذي ترتكبه إسرائيل يوميًّا ضدَّ الفلسطينيين؛ لهذا فأنا أرفض أيَّ محاولةٍ للتأثير عليَّ بالدموع، إذا كان لكم قلبٌ؛ يجب أن تبكوا على الفلسطينيين، وليس ما حدث لكم"[٢٦].

وثمَّة شخصيَّات بارزة كان لها تأثيرٌ على فينكلستين ومواقفه وتوجُّهاته -علاوةً على والديه - من أبرزهم: المفكر والكاتب اليهودي نعوم تشومسكي، الذي تعرَّف عليه فينكلستين منذ فترة طويلة، وكان له تأثيرٌ كبيرٌ في توجُّهه الأكاديمي، وحرصه على كشف الحقائق وتحرِّيها، كما اكتسب منه الجمع بين أسلوب توضيح الأفكار ذهنيًّا مع وجود العاطفة والالتزام الأخلاقي[٢٧].

المطلب الثاني: مكانته العلمية والسياسية:

أولًا: تعليمه ومناصبه:

يعدُّ فينكلستين أستاذًا جامعيًّا مختصًّا في العلوم السياسية، وإلى جانب ذلك فهو كاتبٌ وناشطٌ سياسيٌّ متميِّزٌ بمساندته للقضيَّة الفلسطينية، ومعارضته استخدام اليهود للمحرقة كوسيلة لجذب التعاطف العالمي إليهم، وتغطيةً على جرائم إسرائيل ضدَّ الفلسطينيين.

تلقَّى تعليمه الجامعي في جامعة بينغهامتون، وحصل على الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسيَّة من جامعة برينستون، وكانت أطروحته للدكتوراه حول الصهيونيَّة، وقد شكَّلت نقطة تحوُّل في حياة فينكلستين ومواقفه وتوجُّهاته[٢٨].

شغل فينكلستين عدَّة مناصب أكاديميَّة، فعمل بالبحث والتدريس في عدد من الكليات والجامعات: مثل: كليَّة بروكلين، وجامعة روتجرز، وكلية هانتر، وجامعة نيويورك، وأخيرًا جامعة دي بول في شيكاغو حيث شغل فيها منصب أستاذٍ مساعدٍ ثم مشارك في الفترة ما بين: ٢٠٠١-٢٠٠٧م[٢٩].

---

(٢٦) مفكر أمريكي يرد على طالبة يهودية، مقطع مترجم على اليوتيوب، على الرابط: http://cutt.us/٤٨C٠، وقد قمت بتفريغ محتواه.

(٢٧) ينظر: مقال: ليس كل اليهود صهاينة: نورمان فينكلستين نموذجًا، منتديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب، على الرابط: http://cutt.us/oaPw.

(٢٨) ينظر: نورمان فينكلشتاين، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط: http://cutt.us/jUJx٨ .

(٢٩) ينظر: نورمان فينكلشتاين، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط: http://cutt.us/jUJx٨.

وبهذا جمع فينكلستين بين العمل الأكاديمي والسياسي، فهو أستاذٌ جامعيٌّ، وباحثٌ في العلوم السياسية، وإن حيل بين فينكلستين وبين العمل الأكاديمي، إلا أنَّه لا يزال يتطلع إلى العودة إلى التدريس، ويعمل جادًّا في أبحاثه السياسية، ومع كونه عاطلًا عن العمل -الوظيفي- إلَّا أنَّه يعبِّر عن آرائه السياسيَّة التي لقيت قبولًا وترحيبًا عند الجماهير في الشرق الأوسط؛ لكونها تعبِّر عن حقوقهم، وتؤيِّد مطالبهم في الدفاع عنها، ويرى فيه الكثيرون الرجل الشجاع الذي لم تمنعه يهوديَّته من أن يقول الحقَّ ولو على بني جنسه، ومازال حضوره مستمرًّا في القنوات الفضائية، والمؤتمرات والندوات.

ثانيًا: بحثه عن الحقيقة ونقطة التحوُّل في حياته:

بات من المعروف عن فينكلستين إثارته الكثير من الجدل بناءً على نقده الحادِّ للعديد من الكتَّاب البارزين المتهمين - من وجهة نظره- بتحريف الوثائق بهدف الدِّفاع عن سياسات إسرائيل وتبرير ممارساتها القمعيَّة، كما عُرِف عنه –كما أشرت سابقًا- دعمه للقضية الفلسطينية، وخوضه في مواضيع حسَّاسة مثل الصهيونيَّة والتاريخ الديموغرافي[٣٠] لفلسطين، وحقيقة الوجود الإسلامي فيها، فضلًا عن استنكاره لما يجري من استغلال لمحرقة (الهولوكوست) لتمويل إسرائيل، وتحقيق مصالحها[٣١].

وقد كانت نقطة الانطلاقة في التحوُّل في شخصيَّة فينكلستين ما ذكره عن نفسه في الحوار الذي أجرته معه مجلة (تابيلت) من أنَّه كان ينتمي إلى مجموعة صغيرة، تديم النِّقاش حول الصهيونيَّة، وكان وقتها يكره الحديث عن العقائد، ويرفض تبنِّي موقفًا من الصهيونيَّة، ثمَّ قرَّر بعدها أن يكون مفكِّرًا جادًّا، وانهمك في القراءة عن الصهيونيَّة، حتى تحوَّل ذلك إلى دراسة في أطروحته للدكتوراه[٣٢].

تناول فينكلستين في ثنايا أطروحته للدكتوراه فحص ادِّعاءات كتاب (منذ قديم الزمان) للكاتبة: جوهان بيترز؛ استعرضت فيه بيترز التاريخ الديموغرافي لفلسطين في الفصل الخاص بـ (تاريخ ودفاع عن إسرائيل)، وحاولت نفي ما هو متعارف عليه من الدراسات الديموغرافيَّة التي تؤكِّد أنَّ العرب المتواجدين في فلسطين، والذين تمثِّل نسبتهم ما يقارب ٩٤% من مجمل السكَّان؛ قد تضاءل عددهم إلى درجة التساوي مع اليهود بسبب الهجرة الجماعيَّة برعايةٍ صهيونيَّةٍ، وفي المقابل سعت بيترز لإثبات أنَّ عددًا كبيرًا من الفلسطينيين كانوا مَّمن هاجر إلى البلد المقدَّس منذ بداية القرن التاسع عشر، وتهدف دراستها إلى نفي حقِّ العرب في فلسطين، وسابقتهم التاريخية فيها، وادِّعاء أنَّ هذه المعلومات هي محض

---

(٣٠) الديموغرافيا: علم يهتم بدراسة التجمعات السكانية من حيث حجمها وتغييراتها ومعدلات الولادة والوفاة والهجرة والتوزيع السكاني على المساحة، وتصنيفاته حسب العمر والمهن وغير ذلك، ينظر: عبد الكافي، معجم مصطلحات العولمة (ص:٢٤٤).

(٣١) ينظر: مقال: معلومات عن الكاتب السياسي: نورمان فنكلستاين (رجل يهودي شجاع)، موقع سبلة عمان، على الرابط: http://cutt.us/NQ٩p٢.

(٣٢) ينظر: نورمان فينكلستين، حوار: لا أريد الشهرة لأنني لا أريد أن أخون الحقيقة، على الرابط: http://cutt.us/H٢eI.

دعايةٍ، وأنَّ الحقيقة -كما تزعم- أنَّ اليهود والعرب كلاهما عبارة عن مهاجرين هاجروا إلى فلسطين باعتبارها منطقة غير مأهولة بالسكان نسبيًّا.
لقد أعلن فينكلستين أن كتاب (منذ قديم الزمان) هو عبارةٌ عن خديعةٍ هائلةٍ، وبرغم ما لقيه الكتاب من رواجٍ وقبولٍ في أمريكا؛ إلَّا أنَّ البحث العلمي اللازم لإظهار درجة الاحتيال واللامصداقيَّة لم تلفت إلا انتباه النزر اليسير، فكان ممَّن وجه نقدًا لكتاب بيترز؛ مجلة الدراسات الفلسطينية، حيث نشرت مراجعةً نقديَّةً حادَّةً للكاتب: بيل فاريل، وكذلك نشرت المجلة الأسبوعية (ذا تايمز) الصادرة في مدينة شيكاغو الأمريكيَّة مقتطفات من مراجعة المجلة السابقة، كما نشرت مجلَّة (ذا نايشن) نقدًا للكتاب في سلسلة من الحلقات بقلم الكاتب: أليكساندر كوكبرن[٣٣].

ثالثًا: تداعيات موقف فينكلستين وتوجُّهاته:
كان لمواقف فينكلستين وآراؤه المعارضة لسياسة إسرائيل القمعيَّة ضدَّ الشعب الفلسطيني، وتنديده لاستغلالها محرقة الهولوكوست لتبرير جرائمها وانتهاكاتها، وتحقيق مصالحها أثرًا بالغًا على حياته، كما كان لمهاجمته أثناء عمله في جامعة دي بول لكتاب (قضية إسرائيل) لدارشفيتز باعتباره كتابًا دعائيًّا مزوِّرًا للحقائق حول انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان، وكشفه لبعض الاقتباسات الخاطئة فيه، ومن ثمَّ قيام دارشفيتز بشنِّ حملةٍ ضدَّه، والمطالبة بفصله من الجامعة، دورًا في عرقلة مسيرة عمله الأكاديمي، فتعرَّض للضغوطات بسبب تلك المواقف والآراء، ورغم محاولاته المستميتة للحيلولة دون منعه من التدريس في الجامعة، لكنَّ الأمر انتهى بإعلان الجامعة استغناءها عن خدماته، وتقديم استقالته منها عام ٢٠٠٧م[٣٤].
كما منعت إسرائيل فينكلستين من زيارة الضفَّة الغربيَّة، وأصدرت حكمًا بمنعه من دخول إسرائيل لمدة عشرة أعوام؛ على خلفيَّة علاقته بحزب الله؛ وزيارته للحزب في جنوب لبنان، ومقابلته أبرز قياداته، والدفاع عنه، ولانتقاداته الموجَّهة لإسرائيل، ومطالبته الفلسطينيين بتدمير جدار الفصل العنصري بالمطارق؛ تنفيذًا لحكم محكمة العدل الدوليَّة القاضي بإزالة الجدار[٣٥].
كما صرَّح جون ميرشيمر وهو شخصٌ مكلَّف من قِبل جامعة دي بول بكتابة تقرير عن فينكلستين وطلبه الوظيفي، وقد تابع قضيته بعنايةٍ فائقةٍ من أولها إلى آخرها، وكان يرى أنَّ من حقِّ فينكلستين أن تُسند إليه وظيفة، ويرى خطأ القرار الذي صدر في حقِّه[٣٦].

---

(٣٣) ينظر: نورمان فينكلشتاين، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط: http://cutt.us/jUJx٨ .
(٣٤) ينظر: المرجع السابق، ومقال: ليس كل اليهود صهاينة: نورمان فينكلستين نموذجًا، منتديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب، على الرابط: http://cutt.us/oaPw .
(٣٥) ينظر: نورمان فينكلشتاين، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط: http://cutt.us/jUJx٨ .
(٣٦) ينظر: وثائقي، نورمان فينكلستين يهودي ضد التيار، الجزء الثاني، د.٢٤.٣٥ و٢١.٤٧، على الرابط: http://cutt.us/KAMf.

المطلب الثالث: أبرز مؤلفاته ومشاركاته:

أولًا: أبرز مؤلفات فنكلستين:

يوجد لفينكلستين العديد من المؤلفات التي تتناسب وتوجُّهاته السِّياسية، فيبدو للنَّاظر إلى عناوين الكتب من أوَّل وهلةٍ عناية فينكلستين بالقضية الفلسطينية، والصراع الإسرائيلي، وبما أنَّه امتهن تأليف الكتب بعد استقالته من العمل الأكاديمي؛ فالمتوقَّع ازدياد إنتاجه العلمي ووفرته، وسأستعرض فيما يلي عددًا من هذه المؤلفات، ولا يعني ذلك حصر جميع نتاجه العلمي، وإنَّما هو عرضٌ إجماليٌّ لما تيسر لي الوقوف عليه منها، وستتناول الدراسة قراءة تحليليَّة نقديَّة لثلاثةٍ منها، فمن أبرز مؤلفاته:

١. **صناعة الهولوكوست:** تأملات في استغلال المعاناة اليهوديَّة، من أهم ما كتبه فينكلستين من مؤلفات، وسيأتي التعريف به، وتحليله بالتفصيل في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

٢. **صعود وأفول فلسطين**: رواية شخصيَّة لسنوات الانتفاضة، من إصدارات دار كنعان للدراسات والنشر، صدرت الطبعة الأولى بتاريخ ٢٠٠٠م، بترجمة: أيمن حنا حداد، وعدد صفحات الكتاب: ٣٣٦ صفحة، بحجم ٢١سم، كما أصدرته دار علاء الدين بالقاهرة بتاريخ: ٢٠٠٠م، وعدد صفحاته: ٣٥٥ صفحة، وبترجمة: أيمن حنا حداد.

هذا الكتاب وصفٌ محكمٌ لواقع فصل استثنائي من التاريخ الفلسطيني المعاصر، والثورة على الاحتلال الإسرائيلي المتمثلة في الانتفاضة الفلسطينية، من البداية المتألقة إلى الانكفاء المرير، يقول د. إدوارد سعيد عن الكتاب: "إنَّه لشيءٌ نادرٌ هذا الكتاب الذي يتصدَّى لتجربة إنسانية عبر بحث تاريخي رصينٌ، وتحليل سياسي مفصَّل على نحو مُذهلٌ، وحكمةٌ استثنائيَّةٌ، أنا لا أعرف كتابًا آخر من حيث التعامل مع المآزق المأساويَّة للوضع الفلسطيني بكلِّ هذه الحميمَّية وكلِّ هذا الوضوح"[٣٧].

٣. **ما بعد الصفاقة:** معاداة الساميَّة الجديدة، من إصدارات دار سطور في القاهرة، صدرت الطبعة الأولى بتاريخ: ٢٠٠٦م، بعدد صفحات: ٢٨٨ صفحة، وحجم:٢٤سم، وبترجمة: فاطمة نصر.

والكتاب عبارة عن قسمين، الأول: في معاداة السامية الجديدة والقديمة، والثاني: في أضخم أسطورة رُوِّجت، ويتناول الكتاب بالتحليل المزاعم التي يدَّعيها أنصار إسرائيل حول وجود معاداة للسامية الجديدة، ويعرض استشهادات بعض الكتب التي تعمَّدت رسم تاريخ فلسطين بشكل خاطئ، وروَّجت للادِّعاءات الصهيونيَّة، مثل كتاب جون بيترز (منذ قديم الزمان)، ويصرِّح فينكلستين بأنَّ الهدف من إصداره للكتاب هو رفع الحجاب عن النقاشات الخلافيَّة

(٣٧) ينظر: صعود وأفول فلسطين، موقع نيل وفرات، على الرابط: http://cutt.us/JshW0، وصعود وأفول فلسطين، موقع رفِّي، على الرابط: http://cutt.us/VSz E٩.

التي تغلِّف الصِّراع الإسرائيلي الفلسطيني، والتأكيد على إظهار حجم الظلم الذي عاناه الفلسطينيون إذا تبيَّن ما تحويه السِّجلات غير المشوَّهة والمزيفة[٣٨].
ومن خلال استعراض الباحثة لما كُتب عن محتويات هذا الكتاب، وما ورد في التعريف به، وبالمقارنة مع فهرس كتاب ما يفوق الوقاحة المتوفِّر لدي، يظهر لي أنَّ الكتابين في الأصل كتابٌ واحدٌ -والله أعلم-، ولعلَّ الاختلاف وقع في الترجمة، لا سيما مع وجود شخصين مختلفين قاما بترجمة الكتاب، أيمن حداد لما يفوق الوقاحة، وفاطمة نصر لما بعد الصفاقة، ومما يلاحظ أيضًا اختلاف عدد الصفحات، ولعلَّ لذلك علاقة بإعدادات الصفحة كحجم الخط، والمسافة بين الأسطر ونحوها، وقد وقفت على معلومات النشر لكلا الكتابين في الفهرس العربي الموحد، كما لو كانا كتابين مختلفين، كلٌّ عنوانٍ على حدةٍ[٣٩].

٤. إسرائيل، فلسطين، لبنان: رحلة أمريكي يهودي بحثًا عن الحقيقة والعدالة، من إصدارات دار الآداب للنشر والتوزيع ببيروت، صدرت الطبعة الأولى بتاريخ: ٢٠٠٨م، وعدد صفحات الكتاب: ١٩١ صفحة، بحجم: ٢٤سم، وترجمة: سماح إدريس[٤٠].
وبعد البحث والاستقصاء لم أتمكن من الوقوف على محتويات الكتاب، ولم تتيسر لي سوى معلومات النشر الخاصة به.
٥. هذه المرة تجاوزنا الحد، يبدو أنَّ الكتاب لم يترجم للعربية بعد، فلم أجد أيَّ إشارة إلى وجود أي نسخة مترجمة منه، ويبدو أنَّه من المؤلفات الحديثة نوعًا ما، فثمَّة إشارة إلى ترجمته إلى اللغة السويدية نهاية عام ٢٠١١م، وعدد صفحاته: ٣١٨صفحة، وأنَّه يتألف من سبعة أبواب، ويعدُّ إضافةً قيمة لمجموعة الكتب التي أصدرها فينكلستين والتي انتقد فيها سلوك إسرائيل على كافة الأصعدة، وهو هنا ينتقد إسرائيل بمناسبة الذكرى الثالثة لحرب الإبادة - حسب تعريفه لها- والتي قامت إسرائيل بشنها على قطاع غزَّة عام ٢٠٠٨م، وكذلك حرب القرصنة التي قام بها الجيش الإسرائيلي ضد أسطول الحرية في عرض البحر الأبيض المتوسط عام ٢٠١٠م، وقُتل فيه ٩ ناشطين أتراك، أرادوا كسر الحصار على غزَّة.

٦. ما يقوله غاندي عن اللاعنف والمقاومة والشجاعة، وجدت الإشارة إليه في الحوار الذي أجرته مجلة تابليت مع نورمان، وكذلك أشارت إلى محتواه مجلة الوطن، إذ جاء فيها نبذة عن الكتاب، وأشارت أن المؤلف لم يهدف منه إلى تقديم سيرة ذاتية عن غاندي، ولكن الهدف تسليط الضوء على أساليب غاندي النضالية المجانبة للعنف، والتي

---

(٣٨) ينظر: ما بعد الصفاقة، goodreads، الرابط: http://cutt.us/U٧w٤، وما بعد الصفاقة، مكتبة قضايا، على الرابط: http://cutt.us/ftvM٥، وتقرير "العربية نت" الأسبوعي للكتاب، موقع قناة العربية، على الرابط: http://cutt.us/mXdZh.

(٣٩) يراجع: الفهرس العربي الموحد، على الرابط: http://cutt.us/rUT٧.

(٤٠) ينظر: الفهرس العربي الموحد، على الرابط: http://cutt.us/veeCY.

نجحت في تحقيق استقلال بلاده من الاستعمار البريطاني، ويرى الكاتب أنَّ غاندي يعتبر تجربة جديرة بالدراسة، ونموذجًا يحتذى، لا سيما مع تزايد الحركات الثورية التي تتخذ من اللاعنف منهجًا لها، ويخلص إلى أنَّ غاندي لم يكن سلبيًّا بمعنى عدم وجود ردة فعل لديه، فهو يؤمن بفكرة الدفاع عن نفسه، وبحق المظلومين في الدفاع عن أنفسهم، وإنَّما كان رفضه للعنف المبني على الهجوم، باعتباره يهدر الحقوق ويساوي بين الظالم والمظلوم - من وجهة نظره- كما بيَّن الكاتب أنَّ معنى اللاعنف عند غاندي يعني التضحية بالنفس، والاستعداد للموت في سبيل المبادئ، وأشار إلى تطبيق غاندي العملي للتسامح الديني، الأمر الذي دفع حياته من أجله، وهو مبنيٌّ على اعتقاده أنَّ اللاعنف منهج لا يمكن فرضه على الشعوب، بل هو نتاج توافق المجتمع بأسره على تطبيقه، وخصَّص فصلًا كاملًا لمحاولة البحث عن إجابة لسؤال: كيف يمكن استخدام فلسفة غاندي لحل الصراعات السياسية اليوم وعلى رأسها الصراع الفلسطيني الإسرائيلي[٤١].

٧. الحقيقة والخيال في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وكتاب: محاكمة أمَّة، كلا الكتابين معنيين بالصِّراع العربي الإسرائيلي، وعبَّر فيهما الكاتب عما عايشه ورآه من معاناة الشعب الفلسطيني من جراء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وذلك من خلال مرافقته للأسر الفلسطينية، وقضاء جزء من حياته معهم فترات الصيف لسنوات طويلة، واعتبرت مجلة نيويورك لمراجعة الكتب الكتابين من أهم الكتب التي صدرت في العام ١٩٩٨م[٤٢].

ثانيًا: أبرز مشاركاته الإعلامية:

لفينكلستين الكثير من المشاركات العلمية، واللقاءات الجماهيرية، التي تتمثل في إلقاء المحاضرات، والمشاركة في المؤتمرات والندوات والحوارات والبرامج الإعلامية، وفيما يلي استعراضٌ إجماليٌّ موجزٌ لأبرز هذه المشاركات التي رصدتها وسائل الإعلام، وحُفِظت في مقاطع اليوتيوب مترجمةً باللغة العربية، بخلاف ما لم يُترجَم؛ فهو كثيرٌ جدًا، ولا يتَّسع المقام لحصره، ومن أهمِّ هذه المشاركات، ما يأتي:

١. الفيلم الوثائقي عن حياة نورمان فينكلستين[٤٣]: بعنوان يهوديٌّ ضدَّ التيار، وهو فيلم أعدَّته قناة الجزيرة، في جزأين، يستغرق كل جزء ما يقارب ٤٥ دقيقة، وقد استعرض الفيلم حياة نورمان فينكلستين وأسرته، وعمله الأكاديمي وقصة التحاقه بجامعة نيويورك،

---

(٤١) ينظر: مقال: كاتب أمريكي يكشف الوجه الآخر لغاندي، مجلة الوطن، على الرابط:http://cutt.us/eJV٥، ونورمان فينكلستين، حوار: لا أريد الشهرة لأنني لا أريد أن أخون الحقيقة، على الرابط: http://cutt.us/HeI٢.

(٤٢) ينظر: نورمان فنكلشتاين، صحيفة الوسط، على الرابط: http://cutt.us/01w3A، وبرنامج بلا حدود، وسائل الإعلام بمنظار الإدارة الأمريكية. موقع الجزيرة نت، على الرابط: http://cutt.us/Vbb٧.

(٤٣) ينظر: وثائقي، نورمان فينكلستين (يهودي ضد التيار)، الجزء (١) على الرابط: http://cutt.us/LWQr٤، والجزء (٢) على الرابط: http://cutt.us/KAMf.

ثم شيكاغو، واستقالته من عمله، وأطروحته للدكتواره، وموقفه من كتاب (منذ قديم الزمان)، وكتاب (دفاع عن قضية إسرائيل)، ونقده للسياسية الإسرائيلية، وموقفه من الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وجيرانه الفلسطينيين الذين عاش معهم، ورحلته إلى لبنان، ومقتطفات من محاضراته، ومشاركاته في بعض المؤتمرات، وأقوال معارضيه ومؤيديه، وغير ذلك مما يعتبر مرجعًا موثوقًا لمسيرة حياة فينكلستين.

٢. مناظرة نورمان فينكلستين وشلومو بن عامي[٤٤]: وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق، وقد أجرت المناظرة قناة الديمقراطية الآن، بتقديم: آيمي جودنان، وترجمة: فيصل كريم الظفيري، واستمرَّت المناظرة لمدة ٥٥ دقيقة تقريبًا، وهي مناظرة منقَّحة، أصلها مناظرة استمرَّت ساعتين ، وتناولت المناظرة عدة محاور، بدءًا من أصل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ومرورًا باتفاقيَّات أوسلو للسلام، وحتى الوقت الحاضر -من تاريخ المناظرة-، وكانت المذيعة تبادل توجيه السؤال مرَّةً لشلومو بن عامي وزير خارجية إسرائيل، ثمَّ تنتقل إلى فينكلستين، أو العكس، وتتَّسم المناظرة بالهدوء، والتزام آداب المناظرة والحوار، وجهت السؤال الأول لوزير الخارجية عن تأسيس إسرائيل عام ١٩٤٨م، وأشارت إلى كتابه: (ندوب الحرب وجراح السلام)، وبعض التعليقات التي أوردها، ودوره في عملية السلام، وتحديدًا اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م، وما تداعياتها على اتفاقية كامب ديفيد٢٠٠٠م وطابا ٢٠٠١م .

٣. حوار الساعة: لقاء خاص مع المفكر الأمريكي نورمان فينكلستين[٤٥]: وهو حوار أجرته قناة الميادين من نيويورك، لمدة: ٤٠ دقيقة تقريبًا، وقدَّمه: نزار عبود، ودار الحوار عن الأحداث الأخيرة –وقت تقديمه- وتتمثل في الهجوم الإسرائيلي على غزة، وما جرى في الأمم المتحدة من اعترافها بفلسطين كدولة مراقبة في المنطقة، والترابط بين الحدثين، ومناقشة دوافع العدوان الإسرائيلي، واغتيالهم للجعبري، واختبار قوة الردع الإسرائيلية، والتطوُّر في موقف حماس وكسبها للتأييد السياسي، والاعتراف بها كقوة شرعية، وتأثير تنامي نفوذ أردوغان وتولِّي مرسي السلطة على أمن إسرائيل والمنطقة، إلى غير ذلك من المحاور التي تناولها اللقاء، وكان مجمل رأي فينكلستين حولها أنَّه يحترم حماس، ويثمِّن دفاعها عن حقوقها، وإن كان لا يرى أنَّ الطريقة الصحيحة لتحقيق الاستقلال سيتم بالعنف، كما لا يرى أنَّ هناك تكافؤ في القوة بين إسرائيل وحماس، ولا يرى أثرًا ذا بال في الخسائر من الجانب الإسرائيلي مقابل عدد المقذوفات والصواريخ الذي ترسله حماس نحوها، كما يؤكِّد على أن على الشعب الفلسطيني أن يطالب بحقِّه ولا ينتظر أن تقدَّم له الأمم المتحدة العلاج لمشكلته، بل لا بدَّ من مبادرة شعبيَّة، وقوَّة سياسيَّة تفرض نفسها على المجتمع الدولي.

---

(٤٤) ينظر: مناظرة نورمان فينكلستين وشلومو بن عامي، قناة الديمقراطية الآن، على الرابط:http://cutt.us/agNL .

(٤٥) ينظر: حوار الساعة مع المفكر الأمريكي نورمان فينكلستين، قناة الميادين، على الرابط:http://cutt.us/SxyH .

٤. برنامج أصدقاء العرب: نورمان فينكلستين[٤٦]: وهو شبيه في إعداده بالفيلم الوثائقي عن نورمان والذي أعدَّته قناة الجزيرة أيضًا، ومدَّة البرنامج ٢٥ دقيقة تقريبًا، استعرض من خلاله حياة والدي فينكلستين ومعاناتهما في معسرات الاعتقال النازية، وقصة التقائهما وإنجاب أخيه الأكبر، ثم تحدَّث عن أوَّل رحلة له إلى الأراضي الفلسطينية، حيث كانت في عام ١٩٨٨م، ضمن وفدٍ نظَّمته اللجنة العربية لمكافحة التمييز أثناء الانتفاضة الأولى، وتسببت تلك الزيارة في منعه من دخول إسرائيل، كما حكى عن نزوله ضيفًا عند الأسر الفلسطينية، كأسرة موسى أبو حشيش، وتطرَّق للتنديد باستغلال إسرائيل للمحرقة لتحقيق مكاسب سياسيَّة لها، كما أكَّد على نضاله عن المبادئ التي يؤمن بها، وعلى رأسها تخفيف المعاناة البشرية ومن أهمِّها نصرة القضية الفلسطينية حتى ترى العدالة وفق ما قرَّره القانون الدولي -من وجهة نظره- وهو حلٌّ يرى أنَّه بسيطٌ جدًا لكن إسرائيل هي من ترفض تطبيقه على أرض الواقع.

٥. برنامج: أكثر من رأي[٤٧]**:** بعنوان: حلُّ الدولتين بين الوعود والممارسات الإسرائيلية، وهو لقاء أعدَّته قناة الجزيرة، لمدة: ٥٠ دقيقة تقريبًا، أجرى الحوار: مالك التريكي، باستضافة: المفكر الفلسطيني عزمي بشارة من الأردن، والمفكر الأمريكي نورمان فينكلستين من نيويورك، ودار الحوار حول مدى انطباق مفهوم حركة التحرُّر الوطني على القوى الفلسطينية، وحول القضية الفلسطينية بين حلِّ الدولتين والدولة الواحدة بين الشعار والواقع، واستُهِلَّ الحوار بأنَّ إسرائيل قد ضمَّت -باكتمال جدار الفصل- ما لا يقل عن ٤٦% من مساحة الضفة الغربية، ولكن رغم ذلك، ورغم موت العملية السلمية المنبثقة عن اتفاقية أوسلو؛ فإنَّ الدبلوماسية الدولية لا تزال مستمرة في ترديد شعار إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة باعتباره شعارًا قابلًا للتحقيق، بل وباعتباره الحلِّ الوحيد الممكن للصراع التاريخي بين الشعب الفلسطيني والحركة الصهيونية، وهنا تساؤلاتٌ تطرح نفسها: هل مازال حلُّ الدولتين حلًّا واقعيًّا بعد أن أسفر مسار أوسلو عن واقع مشين؟ وأيُّهما أكثر واقعيَّةٍ في هذا العصر: هل هو حلُّ الدولتين الذي يقوم على أساس الفصل العرقي والديني في ظلِّ اختلالٍ هائلٍ في موازين القوى؟ أم هو حلُّ الدولة الواحدة الذي يقوم على أساس المواطنة والمساواة الديمقراطية في الحقوق والواجبات؟ وقام الحوار على تبادل وجهات النظر بين الضيوف حول محاور اللقاء، وما يرونه حيال ذلك.

٦. مؤتمر أحرار العالم ضدَّ الانقلاب في مصر[٤٨]: وهو مؤتمر بعنوان: الأوضاع الحالية في ظل الانقلاب في مصر، نظَّمه مركز المؤتمرات في الحي الثاني والعشرين في

---

(٤٦) ينظر: برنامج أصدقاء العرب، نورمان فينكلستين، قناة الجزيرة، على الرابط: http://cutt.us/Ra B٢.

(٤٧) ينظر: برنامج أكثر من رأي، حل الدولتين بين الوعود والممارسات الإسرائيلية، قناة الجزيرة، على الرابط: http://cutt.us/zn٥Ut.

(٤٨) ينظر: مؤتمر أحرار العالم ضد الانقلاب في مصر، على الرابط: http://cutt.us/XKknV.

فيينا في دولة النمسا بتاريخ: ٢٠١٤/٥/١٦م، مدة المقطع: ٤٥ دقيقة تقريبًا، ويجرِّم المؤتمر الانقلاب العسكري الحاصل في مصر، ويدعو لزواله، كما ينادي بالعودة إلى الشرعية، وتمَّ فيه استضافة د. فينكلستين للإدلاء برأيه في هذا الموضوع، وأظهر وقوفه مع الشرعية والسلمية في مصر، وعبَّر عن رفضه للانقلاب، ولبس في قميصه رزًّا يحمل شعار رابعة العدوية؛ إعلانًا للتضامن مع شهدائها، والوقوف إلى صفِّهم، وأكَّد فينكلستين في حواره على السلمية، وأشار إلى تجربة غاندي الناجحة في تحقيق الاستقلال، ومناهضة الاستعمار البريطاني، كما أشار إلى أنَّ من أهم شروط نجاح السلميَّة وجود هدف صحيح، والتزام السلمية في المطالبة بالحقوق، ولا بأس من وجود تضحيات من أجل هذه السلميَّة، فوجود هؤلاء الضحايا وقود يجذب التعاطف والانتماء والمساندة من قبل شريحة أكبر من الناس، كما أشار إلى أنَّ من أسباب سقوط الشرعية في مصر تآمر الليبراليين والعلمانيين واليساريين والقوميين فيها ضدَّ الشرعيَّة، وانحيازهم لحكم العسكر، والسبب في ذلك أنَّهم لا يؤمنون بالديموقراطية إلَّا عندما تكون نتائجها مرضية لهم، انطاقًا من النظرة الاستعلائية التي ينظرون بها إلى الآخرين، بالإضافة إلى انتقاصهم لأهل الدين، واعتبارهم أنَّ التديُّن رمز للتخلُّف والرجعية، وأشار -على سبيل الاعتراض على النموذج المصري- إلى الحركة المدنيَّة في أمريكا بقيادة مارتن لوثر وكيف أنَّها كانت حركةً دينيَّةً، تحرِّكها الكنيسة، ومع ذلك فقد كان الليبراليون والعلمانيون سعداء بهذا الحراك، وشاركوا فيه، وكانوا جزءًا منه؛ إيمانًا منهم بأنَّ الديموقراطية تعني احترام حق الآخرين في الاختيار، وحقهم في صناديق الاقتراع، كما ختم بتوجيه نصيحة للمصريين بإنشاء تحالف قوي يضمُّ كلُّ فئات المجتمع، وأن يكون هناك اتِّفاق علاقة تبادل مصالح ومنافع بين الأطراف، تقوم على الاحترام الكامل، وليس التخلُّف والرجعية، حتى يستطيع من خلاله الشعب المصري أن يستردَّ حقه في الشرعية.

٧. برنامج بلا حدود[٤٩]**:** بعنوان: صناعة الهولوكوست، وهو حوار أجرته قناة الجزيرة مع نورمان فينكلستين، أجرى الحوار: أحمد منصور، وقد جاء الحوار على خلفية صدور كتاب (صناعة الهولوكوست) لفينكلستين، ومواجهته عاصفةً حادَّةً في الأوساط الغربية، فبرغم عدم تجاوزه ١٦٠ صفحة؛ إلَّا أنَّ المقالات التي كتبت عنه تُعدُّ بالمئات، ونشر كثيرٌ منها في الصحف الغربية لاسيما الرصينة والمشهورة؛ بسبب أنَّ الكتاب يعتبر دراسة جريئة تفضح صناعة الهولوكوست، والجماعات التي تقف وراءها وأهدافها، ووسائل اللوبي اليهودي في ابتزاز دول العالم والحصول على عشرات المليارات من الدولارات من الدول الغربية كتعويضات لضحايا الهولوكوست، بينما يتم توزيعها على إسرائيل والجماعات اليهودية وطبقات المحامين والمستفيدين الآخرين، ولم تتوقف عملية الابتزاز على ألمانيا وحدها، بل دخلت في دائرته سويسرا وفرنسا وهولندا وإيطاليا والنرويج وبريطانيا، حتى العرب دخلوا أيضًا في دائرة هذا الابتزاز، وتمارس الولايات

(٤٩) ينظر: برنامج بلا حدود، صناعة الهولوكوست، على موقع الجزيرة نت، على الرابط: http://cutt.us/WUii .

المتحدة ضغوطًا على الدول النفطية للسداد، فيما لا يزال الملايين من الفلسطينيين يعيشون في الشتات والمخيمات من جرَّاء ما فعل اليهود بهم، ويدور الحوار حول فصول الكتاب، والدوافع إلى تأليفه، ووصف ردود الأفعال في الأوساط الغربية عنه، ورغم المحاولات المتكرِّرة لمنع نشر الكتاب في الدول المختلفة؛ إلَّا أنَّ مؤلفه أكَّد -وقت تقديم البرنامج- صدوره قريبًا بالألمانية والبولندية والهولندية والدانماركية والسويدية، كما أكَّدت دار الآداب في بيروت أنها سوف تُصدِر طبعته العربية قريبًا كذلك، وهذه الطبعة بين يدي الباحثة حاليًّا، وسيتناول المبحث الثاني من هذه الدراسة عرض الكتاب وتحليله ونقده بصورةٍ تفصيليَّة.

٨. **مقابلة مع فينكلستين**(٥٠): وهي مقابلة أو مداخلة أجرتها قناة لايف مع د. فينكلستين في نيويورك، لمدة: ٧ دقائق، وذلك بعد قيام الوحدات الصهيونية الخاصة فجر يوم ٢٠١٠/٥/٣١م، بالهجوم على قافلة الحرية المتوجهة نحو قطاع غزَّة، والمكونة من ستِّ عشرة سفينة، وتحمل ٧٥٠ متضامنًا مع غزَّة، و١٠٠٠٠ طن من المساعدات الإنسانيّة، من بينها مواد أوليَّة، وأدوات طبيَّة، ومواد لبناء بيوت أهل غزة، وتدميرها بالآلة الحربيَّة الصهيونيَّة، والسؤال الموجَّه لفينكلستين هو حول موقف الأمم المتحدة إزاء ما صدر من إسرائيل، فأجاب بأنَّ الرد كان ضعيفًا، إذ عبَّر أوباما عن قلقه إزاء ما حدث، وبيَّن فينكلستين وجهة نظره في الحدث بأنَّ ما قامت به إسرائيل في غاية الخطورة، فهي إلى جانب كونها تفرض حصارًا غير شرعيٍّ على القطاع، وتنتهك بكلِّ صراحةٍ القانون الدولي، الذي صرَّحت به منظَّمة العفو الدولية قبل أسبوع من الحدث، فإنَّ اعتداءها على الأسطول الذي يحمل مساعداتٍ إنسانيَّةٍ لتخفيف العبء عن القطاع ليس له أي مبرِّر قانونيٍّ، وانتهى إلى القول بأنَّ إسرائيل دولة مجنونة تملك ٢٠٠ أو ٣٠٠ رأس نووي تهدِّد به جيرانها كإيران ولبنان، فلا يمكن أن يغفل هذا الأمر.

المطلب الرابع: أسلوبه ومنهجه في الكتابة:

درج الكاتب عند كتابة مؤلفاته على التزام أسلوبٍ راقٍ، ومنهج متميِّزٍ، يلقي بظلاله الوارفة على شخصيَّته المتألِّقة، وتظهر أبرز مزايا أسلوبه ومنهجه المتَّبع في مؤلفاته من خلال الآتي:

١. تمتاز مؤلفات فينكلستين -في عمومها -بجودة العرض، وحسن التبويب، وجمال التنظيم، وعمق الأفكار، وحسن الاستيعاب، ودقَّة التعبير.
٢. يمتلك فينكلستين فكرًا وقادًا، ولغةً راقيةً، وقلمًا أصيلًا، يناضل بها من أجل التزاماته الأخلاقية، ولنصرة مبادئه التي يؤمن بها، وعلى رأسها دعم الحقيقة والعدالة، وكشف الكذب والتزييف.
٣. يميل أسلوبه إلى الرصانة، مع شيءٍ من البساطة التي تضفي عليه نوعًا من التميُّز، ولا

(٥٠) ينظر: مقابلة مع السيد: finkelstein، على الرابط: http://cutt.us/VRjK.

يخلو مع ذلك -رغم ندرته -من غموضٍ في بعض العبارات، أو خفاءٍ في أجزاءٍ من المعنى.

٤. يمتلك فينكلستين قدرًا كبيرًا من الموضوعية والشفافية التي تظهر من خلال رصده للمغالطات والأكاذيب حول الكثير من القضايا لا سيما ما يتعلق منها بالشرق الأوسط -باعتباره معنيًّا به -وخصوصًا ما يتعلق بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

٥. يلتزم فينكلستين بضوابط البحث العلمي الأصيل في كتاباته من حيث التوثيق إلى المصادر والمراجع التي يستقي منها معلوماته، ومن حيث التمييز بين ما هو منقولٌ بنصِّه أو بمعناه.

٦. يحرص فينكلستين على إقناع القارئ بالفكرة التي يناقشها، فلا يكتفي بما يسوقه من الأدلة والشواهد في متن الكتاب، بل كثيرًا ما يتحف القارئ بإضافاتٍ هامةٍ وجميلةٍ في الهامش.

٧. يثير فينكلستين التساؤلات في العديد من المواضع، لا سيما عند عقده المقارنات لإدانة شخصٍ ما، أو جهةٍ ما، على سبيل المقابلة بين الوضعين، ليؤكِّد للقارئ وجاهة نقده، وصحة استشهاداته.

٨. يلجأ فينكلستين في كثير من الأحيان إلى استعمال أسلوب التهكُّم غير المباشر، ليحرج الطرف المعني بالنقد، من غير استخدام للألفاظ الجارحة أو البذيئة.

٩. يتميَّز أسلوبه بروعة الاستدلال، والإبداع في استخراج الشواهد، وحسن الاستفادة من الأدلة التي يمتلكها، كمثال: تقارير سجلات منظمات حقوق الإنسان، مقارنات الجداول، نتائج الاستطلاعات، الملحق القانوني.

١٠. يراوح فينكلستين عند عرضه لعناصر كتبه بين أكثر من طريقة، فيبدأ أحيانًا بعرض الفكرة المغلوطة الشائعة ومبرِّراتها السائدة، ثمَّ يصحِّحها ويحلِّلها ويناقشها مع سوق ما يمكن من الأدلة والشواهد لتعزيز وجهة نظره.

١١. كما يبدأ أحيانًا بذكر النتيجة التي سيخلص إليها موجزةً، ثمَّ يحلِّل الواقع المتعلق بها، ويناقشه ويفنِّده ويستدل عليه، ثمَّ يختم مرَّةً أخرى بالنتيجة التي قدَّم بها للتأكيد عليها.

١٢. وقد يستطرد أحيانًا أثناء عرضه لفكرةٍ ما إلى موضوع آخرٍ، ثم يعود مجدَّدًا ليستكمل مناقشة الفكرة الأولية، ويواصل استنتاجاته حولها.

المبحث الثاني: قراءة تحليلية نقدية لكتاب: (صناعة الهولوكوست):

المطلب الأول : عرض لأهم محتويات الكتاب:

المقدِّمة[٥١]: يعد كتاب (صناعة الهولوكوست) تشريحًا لصناعة الهولوكوست، وشجبًا لهذه الصناعة في الوقت نفسه، كما صرَّح بذلك المؤلف في مقدَّمة الكتاب، ونوَّه بأنَّ صفحات كتابه ستتضمن براهين حقيقية، وأدلَّة دامغة على أنَّ الهولوكوست (الصناعة)، -وليست

(٥١) ينظر: فينكلستين، صناعة الهولوكوست، المقدمة (ص:١٣-١٩).

الهولوكوست (النازيَّة) الحقيقية التي حصلت بالفعل- هي سلاحٌ أيديولوجيٌّ يخدم مصالح سياسيَّة وطبقيَّة خاصَّة، وأنَّه من خلال هذه الصناعة الهولوكوستيَّة استطاعت إسرائيل - وهي من أقوى دول العالم عسكريًّا، ولها تاريخٌ مريعٌ في انتهاك حقوق الإنسان- أن تصوِّر نفسها على أنَّها ضحيَّة، كما استطاع اللوبي اليهودي في أمريكا أن يصبغ نفسه بالصفة نفسها، كلاهما فعلا الشَّيء ذاته؛ لكسب أرباح لا تقدَّر بثمن، كالحصانة من النَّقد بكلِّ أشكاله ومبرراته، فَتَحْتَ هذه الحصانة أباحوا لأنفسهم ممارسة أيِّ شيءٍ، وكلِّ شيءٍ؛ لتمرير مصالحهم، وتبرير أطماعهم، وتغطية جرائمهم، وتشريع انتهاكاتهم.

وأشار فينكلستين إلى أنَّ مبعث اهتمامه الشخصي بالهولوكوست، ودافعه لتأليف الكتاب؛ كون والداه من الناجين من معسكرات الاعتقال النازية؛ وعليه يرى أنَّ ذكراهما ومعاناتهما تستحقُّ الذكر والإكرام في سياق كشف الاستغلال الرخيص الذي جلب العار لهذه المعاناة، وحوَّلها إلى وسيلة ابتزاز، وقد بلغ به الأسف مبلغًا عظيمًا، حيث رأى في اكتشاف اليهود الأمريكيين للهولوكوست النازية شرًّا؛ إذ قلَّصت هذه الصناعة القيم الأخلاقية لمعاناة الضحايا إلى قيمة كازينو في مونت كارلو، وأساءت إلى ذكراهم؛ فربما كان نسيانها أفضل مما يحصل من استغلال فظٍّ للعذابات اليهوديَّة -على حدِّ قوله-

وقسَّم فينكلستين الكتاب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تحويل الهولوكوست النازية إلى الهولوكوست[٥٢]، ويفرِّق فيه فينكلستين بين مصطلح (الهولوكوست النازية) الذي يقصد به المحرقة التي حدثت بالفعل، وبين مصطلح (الهولوكوست) ويريد به صناعة الهولوكوست واستغلالها السيء للمحرقة.

ويلفت الانتباه إلى أنَّ الهولوكوست النازية لم يكن لها ذكرٌ ذو بال في الحياة الأمريكية بين نهاية الحرب العالمية الثانية وأواخر الستينيات من القرن العشرين، فلم يتناول هذا الموضوع سوى حفنةٌ من الكتب والأقلام، كما لم يكن هناك مساقٌ جامعيٌّ واحدٌ عن هذا الموضوع في الولايات المتحدة، وأقصى ما وُجِد بحثان أكاديميان هما: (الحلُّ النهائيُّ [الهولوكوست]) لجيرالد رايتلنغر، و(تدمير اليهود الأوروبيون) لراؤول هيلبرغ، بل إنَّ الأخير أوشك ألَّا يرى النور، كما لم يحظ حين نشره إلا بإشارات قليلة يغلبها الانتقاد.

ويتساءل عن السبب الحقيقي في هذا الغياب لذكرى الهولوكوست كلّ ذلك الوقت؟ ثمَّ يجيب بأنَّه ليس كما يشاع من أنَّ ذلك بسبب الصدمة العنيفة التي كان يعيشها اليهود من المحرقة؛ فكبتوا لأجلها ذكراهم، وإنَّما يتلخَّص -من وجهة نظره- في السياسات الامتثالية التي انتهجتها القيادة اليهودية الأمريكيَّة، إضافةً إلى المناخ السياسي السائد في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، ذلك أنَّ النخب اليهودية الأمريكية التزمت في الشؤون المحلية والدولية السياسة الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية؛ بهدف تسهيل اندماجها ونفادها إلى مواطن القوَّة، ومع بداية الحرب الباردة عام ١٩٤٩م، ولكون ألمانيا أصبحت حليفة

(٥٢) ينظر: المرجع السابق، الفصل الأول (ص:٢١-٤٧).

للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ضد الاتحاد السوفيتي؛ خشيت النخب اليهودية الأمريكية من عزلها من الساحة الأمريكية في حال وجود أي معارضة من قِبل اليهود الأمريكيين ضد السياسة الأمريكية الجديدة المتحالفة مع ألمانيا النازية والمتهمة بالمحرقة اليهودية؛ وسرعان ما اصطفَّت هذه النخب مع السياسة الأمريكيَّة الجديدة، ورأت أنَّ النبش في الماضي لن يفيد شيئًا، بل ربما يزيد الأمور تعقيدًا، إلى جانب كون معارضة التحالف مع ألمانيا ضدَّ الاتحاد السوفيتي كان يُعدُّ تهمةً بالاصطفاف مع الشيوعيَّة الروسيَّة التي يستحق صاحبها المقاضاة والمحاسبة؛ لذا فقد تعاونت المنظمات اليهودية جميعها مع الحكومة من أجل احتواء موجة العداء لألمانيا التي سادت المشاعر الشعبية اليهودية آنذاك، وتمت مطاردة المعارضين لهذه الرؤية، واتهامهم بأنَّهم مخرِّبين، بل حُكِم على جوليوس وزوجته بالإعدام على خلفية اتهامهما بتقديم معلومات عسكرية للاتحاد السوفيتي، ووصما بأنهما لم يكونا يهوديين حقًّا، وبلغ الموقف ذروَته عندما ناصبت هذه المنظمات اليهودية العداء للألمان الديموقراطيين المعاديين للنازية، كما عارضت حملات مقاطعة المنتوجات الألمانية، والمظاهرات ضدَّ النازيين، ولم تستحضر تلك النخب الهولوكوست النازية إلَّا في سياق واحد فقط؛ لكونه يزيد من حظوتها لدى الولايات المتحدة: وهو إدانة الاتحاد السوفيتي.

ويمضي فينكلستين في ضرب الأمثلة على نماذج من النخب اليهودية الأمريكية التي تبنت موقفًا مغايرًا تجاه إسرائيل بعد حرب حزيران عما كان قبله، كما لم تفته الإشارة إلى الشريحة المعارضة التي تبنَّت نقد سياسة إسرائيل تجاه العرب باعتبار الأثر الرجعي السلبي لهذه السياسية على الإسرائيليين أنفسهم؛ إلَّا أنَّ (أنصار إسرائيل الجدد) من النخب اليهودية الأمريكية اعتبروا ذلك من التجديف؛ حتى اقترح نعوم تشومسكي تسمية هؤلاء الأنصار بأنصار انحطاط إسرائيل الخلقي ودمارها النهائي.

الفصل الثاني: المحتالون والمتاجرون والتاريخ[٥٣]**:** وابتدأه فينكلستين بذكر ملاحظة الكاتب الإسرائيلي بواس إيفرون أنَّ الوعي بالهولوكوست عملية تلقين دعائية رسمية، تمخض عنها شعارات وتصورات زائفة عن العالم؛ بهدف التلاعب بالحاضر لا فهم الماضي، وقد أصبحت بعد أن مُرِّرت من خلال موشورِ إيديولوجيٍّ[٥٤] أداةً فعالةً في يد القيادة الإسرائيلية واليهود في الخارج.

ويشير فينكلستين إلى وجود مذهبيَّتين مركزيتين تشكلان أساس الهولوكوست، هما: أنَّ الهولوكوست حدثًا تاريخيًّا فريدًا بصورته المطلقة، وأنَّها تشكِّل في الوقت نفسه ذروة كراهية أبديَّة لا عقلانية يحملها غير اليهود لليهود، ومن هذا المنطلق أصبح شعار الحركة اليهودية الأمريكية: أنَّ الهولوكوست فريدةٌ، وليس لها نظير في التاريخ الإنساني، واتَّفق

(٥٣) ينظر: فينكلستين، صناعة الهولوكوست، الفصل الثاني (ص:٤٩-٨٥).

(٥٤) الإيديولوجية: مصطلح لاتيني بمعنى الأفكار، ويطلق على العلم الذي يهتم بدراسة الأفكار والتصورات من حيث أصولها ونشأتها وخصائصها، ونحو ذلك، ينظر: الجهني، الموسوعة الميسرة (٩٨٠/٢).

كلُّ كتاب الهولوكوست على هذه الفرادة، وحاول ستيفن كاتز أن يثبت ذلك -عبر استشهاده بما يقارب من ٥٠٠٠ مرجع- في كتابه (الهولوكوست في السياق التاريخي)، بحكم أنَّه لم يحدث أبدًا من قبل أن شرعت دولة عن مبدأٍ مقصودٍ وسياسة فعليَّةٍ بالإبادة الجسدية لكل رجل وامرأة وطفل ينتمون إلى شعبٍ معينٍ.

ثمَّ يردُّ فينكلستين على هذه الدعوى بأنَّه يمكن القول على أبسط المستويات أنَّ أي حدثٍ تاريخيٍّ هو فريدٌ من نوعه، بحكم زمن الحدث ومكانه فقط، وكلُّ حدثٍ تاريخيٍّ يحمل في طياته مقومات تميِّزه عن غيره، إضافةً إلى مقومات تشترك فيها الأحداث التاريخية مع غيرها، ويتابع أنَّ فهم الهولوكوست عقلانيًّا وفق هذه النظرة يؤدي بالضرورة إلى إنكارها، ذلك أنَّ العقلانية تنكر فرادة الهولوكوست وغموضها، ثم يثني بقوله إنَّ الادعاءات بفرادة الهولوكوست عقيمة فكريًّا، ومخزية أخلاقيًّا، والهدف من إشاعة ذلك التنويه إلى أنَّ المعاناة الفريدة تمنح صاحبها حظوةً فريدةً، كما تفرده بالأحقية بمطالبة الآخرين بأمورٍ ما، وهكذا يتضح أنَّ المراد من استثنائية المعاناة اليهودية هو تعزيز أحقية إسرائيل المعنوية والعاطفية في مطالبة الأمم الأخرى بما تريده، وعليه فقد أعطت الهولوكوست اليهود الحقَّ باعتبارهم مهددين بصورة خاصة، وجديرين بصورة خاصة بأية جهود ضرورية للحفاظ عليهم.

من جانبٍ آخر يشير فينكلستين إلى أنَّ الادعاء بفرادة الهولوكوست؛ هو في نفس الوقت ادِّعاءٌ بفرادة اليهود؛ لأنَّ كون اليهود هم الذين عانوا في هذه المأساة؛ هو ما أضفى الفرادة عليها، ويعني بزعمهم: أن الهولوكوست مميزة؛ لأنَّ اليهود مميزون، وهو ما تدلُّ عليه بعض تصريحات اليهود عن أنفسهم: "كلُّ ما يتعلَّق بنا مختلفٌ"، و"إنَّ اليهود استثنائيون وجوديًّا".

ثم ينتقل فينكلستين إلى الحديث عن التاريخ المزور للهولوكوست، مؤكِّدًا أنَّ معظم ما كُتب عن الهولوكوست لا قيمة له من الناحية الأكاديمية؛ لأنَّه يفصح عن المذهبيات الأساسية للهولوكوست، ومضيفًا أنَّ ميدان دراسات الهولوكوست يطفح بالهراء والاحتيال، ويظهر ذلك جليًّا في الوسط الثقافي الراعي لأدبيات الهولوكوست، ثم شرع في سوق الأمثلة على الخداع التي تضمنتها تلك الأدبيات في كتاب (العصفور المدهون) لجيري كوسينسكي، وكتاب (شظايا) لبنجامين ويلكومرسكي، وكتاب (جلادو هتلر المتطوعون) لدانيال جوناه غولدهاغن، حيث هللت لها الأوساط المثقفة في أمريكا؛ وامتُدحت على نطاقٍ واسع، وفازت بالجوائز، وتُرجمت إلى عدة لغات.

ويشير فينكلستين إلى أنَّ من العلامات المميزة لأدبيات الهولوكوست هي المساحة المعطاة لإثبات وجود علاقة بين العرب والهولوكوست، وقد حمَّلت (موسوعة الهولوكوست) لغوتمان؛ مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، دورًا رئيسيًا في الهولوكوست، رغم أنَّه لم يكن له دورٌ مهمٌ بحسب نوفك، ويحاول اليهود إثبات أنَّ هناك الكثير مما هو مشترك بين الخطط النازية لتدمير اليهود، والعداء العربي لإسرائيل.

ويتساءل فينكلستين عن الازدواجية في التعامل مع ضحايا الهولوكوست، ومن يجب إحياء ذكراهم في المتاحف، وينوِّه بأنَّ الواقع أثبت أنَّ اليهود لم يكونوا وحدهم من قضوا بسبب الاضطهاد النازي، بل كان معهم الغجر وغيرهم، وقد قُتل من الغجر ما نسبته إلى عددهم الإجمالي ما يوازي نسبة من قُتل من اليهود إلى عددهم الإجمالي، فما الهدف إذن من تهميش المتحف لإبادة الغجر؟ ثم يجيب بأنَّه لا يمكن ببساطة أن تقارن خسارة حياة غجريٍّ بخسارة حياة يهوديٍّ، إضافةً إلى أنَّ الإقرار بخسارة الغجر تعني بالضرورة خسارة لامتياز يهودي حصري بالهولوكوست، وعلى فرض التسليم بأنَّ الألمان اضطهدوا اليهود والغجر بنفس الطريقة؛ فذلك يعني سقوط المذهبية الجامدة التي تقول بأنَّ الهولوكوست شكلت ذروة كراهية غير اليهود لليهود منذ آلاف السنين، وهذا ما لا يمكن الاعتراف به لدى من يقبع خلف استغلال الهولوكوست.

الفصل الثالث: الابتزاز المزدوج(٥٥)**:** ويشير فيه إلى أنَّ عدد الناجين من معسكرات الاعتقال ومعسكرات السخرة قُدِّر عند انتهاء الحرب العالمية الثانية بمئة ألف، بيد أنَّ هذا الرقم قد تقلص إلى الربع، لكن الواقع يثبت انتحال الكثير من اليهود -الذين كانوا خارج ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية -صفة الناجين من المعسكرات، طمعًا في الحافز المادي الذي كانت قدَّمته الحكومة الألمانية كتعويض لليهود الذين كانوا في المعسكرات.
وأصبحت صناعة الهولوكوست مؤخرًا مكينةً صريحةً لابتزاز الأموال، بزعم تمثيل هذه المؤسسات يهود العالم بأجمعهم، أحيائهم وأمواتهم، ودعوى ملكيتها لأرصدتهم في كلِّ أنحاء أوروبا أثناء حقبة الهولوكوست، واستهدف هذا الابتزاز دول عديدة من أوروبا فإلى جانب ألمانيا كان اتهام المصارف السويسرية بالاستيلاء على أرصدة أصحاب حسابات ضحايا الهولوكوست، واتهام السويسريين بالمتاجرة بذهب ضحايا الهولوكوست عن سابق معرفةٍ بعد تجريد هؤلاء الضحايا من ممتلكاتهم في المعسكرات، وغير ذلك من الاتهامات التي انتهت بالضغط على سويسرا لدفع تعويضات مالية في مقابل التهديد بالمقاطعة الاقتصادية، ويغطِّي المبلغ تعويضات للمطالبين بالحسابات السويسرية الهاجعة، واللاجئين المحرومين من اتخاذ سويسرا ملجأ لهم، وضحايا نظام السخرة الذي أفادت منه سويسرا، ولكن ورغم مرور أكثر من عام على التوصُّل للتسوية إلَّا أنَّ المؤسسات اليهودية لم تضع خطة لتوزيع المال على أصحابه بعد، وإلى حين تقاسم الأموال ربما يكون الناجون من الهولوكوست قد ماتوا.
ويمضي فينكلستين في الحديث عن ضحايا الابتزاز من الدول الأوروبية كألمانيا والاتحاد السوفيتي وبولندا والنمسا، وكيف سعت المنظمات اليهودية الأمريكية إلى توظيف صناعة الهولوكوست للابتزاز المزدوج، فهي تبتز الدول باسم ضحايا الهولوكوست، والواقع يثبت أنَّ هؤلاء الضحايا أيضًا هم ضحايا لابتزاز وجشع هذه المنظمات التي وجدت طريقًا

(٥٥) ينظر: فينكلستين، صناعة الهولوكوست، الفصل الثالث (ص:٨٧-١٤٣).

للثراء الفاحش، ووسيلةً للتلويح بالمقاطعة الاقتصادية، والتهديد السياسي عبر فزاعة الهولوكوست، ولو على حساب ابتزاز الضحايا الحقيقيين.

المطلب الثاني: نقد أفكار الكتاب:

أولًا: أبرز الإيجابيات لكتاب (صناعة الهولوكوست):

ثمَّة الكثير من الإيجابيَّات التي حواها الكتاب، ولعلَّ من أبرزها ما يأتي:

١. ربَّما تعدُّ أول إيجابيَّات كتاب (صناعة الهولوكوست) كونه من أبرز الكتب التي أحدثت ضجيجًا في الأوساط الغربية بما في ذلك الأوساط الأمريكية والأوروبية حول حقيقة الهولوكوست، وهذا بحدِّ ذاته سبَّب هزَّةً عنيفةً، وأنتج تقويمًا للكثير من القناعات والأفكار حول هذه القضية، كما كشف اللثام عن حقيقة هذه الصناعة، وأبرز استغلال النخب اليهودية الأمريكية والولايات المتحدة لمعاناة ضحايا الهولوكوست الحقيقيين لا لتعويضهم وتخليد ذكراهم، وإنَّما لتبرير جرائم إسرائيل وانتهاكاتها المتكرِّرة لحقوق الشعب الفلسطيني، ولغض الطرف عن سياسة الولايات المتحدة إزاء ذلك.

٢. يُظهر الكتاب الجانب الأخلاقي النبيل لد. فينكلستين؛ حيث كان هو المنطلق لتأليف كتابه، وقد ذكر في مقدمته -كما أشرت سابقًا- أنَّ الدافع لتأليف هذا الكتاب هو تكريم ذكرى معاناة والديه وعائلته ومن على شاكلتهم من الضحايا، الذين شوِّهت الصناعة معاناتهم، وجعلتها سلعةً رخيصةً مبتذلةً، تخدم أجنداتٍ سياسية، ومصالح إيديولوجية، كما أشار إلى كونه يحمل على عاتقه مسؤولية المناضلة من أجل أمانة السجل التاريخي، ويطمح إلى نشر الوعي بحقيقة هذه الصناعة الاستغلالية، بهدف الحدِّ منها، بل وإغلاق مصنعها، فيقول: "إنَّ شذوذ الهولوكوست النازية لا ينبع من الحدث ذاته، بل من الصناعة الاستغلالية التي نمت حولها، لقد كانت صناعة الهولوكوست ومازالت مفلسةً على الدوام، ويبقى التصريح بذلك الإفلاس علنًا أمرًا واجبًا، ولقد آن الأوان منذ وقتٍ بعيدٍ لإغلاق مصنعها تمامًا. [٥٦]

٣. يُظهر الكتاب جوانب عديدة من العدالة والإنصاف في شخصيَّة فينكلستين، وتبدو جليَّةً في رفضه فكرة العنصريَّة والتمييز التي طغت على المجتمع الأمريكي عمومًا، والجالية اليهوديَّة بصفة خاصةٍ، حيث يرى اليهود تفوُّقهم على الآخرين، وتفرُّدهم عنهم، وأنَّهم شعب الله المختار، الأمر الذي ينطلقون منه في تبرير عدائهم واعتداءاتهم على الآخرين، ورغم كون فينكلستين أمريكيًّا يهوديًّا إلَّا أنَّه يرفض هذه النظرة المتعجرفة، ويرى فيها انتهازيةً مغرضةً؛ لذا نراه على الدوام يعقد المقارنات بين سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وتعاملها مع إسرائيل، وبين موقفها من شعوب العالم الأخرى، ويبرز الانتقائية والازدواجية البغيضة للسياسة الأمريكية، ومن ذلك شجبه للحرب الأمريكية على

([٥٦]) فينكلستين، صناعة الهولوكوست (ص:١٥٢)، وينظر: مقدمة الكتاب أيضًا (ص:١٥-١٩)، ومن منطلق النظرة الشرعيَّة لمن يموت على غير الإسلام؛ لا نتفق مع فينكلستين في عبارته الأخيرة، فالسلام في حياة البرزخ لا يكون إلا لمن مات مسلمًا موحِّدًا، وشمله الله Y برحمته وعفوه.

فيتنام، ورفضه فكرة العنصرية ضد السود والعرب، أو محاولة الربط بين العرب أو المسلمين -بتعبير أدق- وبين النازية الألمانية؛ لتأكيد وصمهم بالإرهاب والتطرف والمعاداة الأبدية للسامية، وكذلك استنكاره استغلال المحرقة اليهودية لتبرير جرائم إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وغير ذلك[٥٧].

٤. استطاع الكتاب أن يكشف حقيقة النخب اليهوديَّة الأمريكية ويبرز انتهازيتها ونفاقها الصريحين، واللذين يتجلَّيان في تماهيها مع السياسة الأمريكية في الولايات المتحدة فيما يتعلق بالهولوكوست النازية كمثالٍ، حيث التزمت هذه النخب الصمت المخزي حيال الهولوكوست؛ نظرًا لموافقتها ما تقتضيه المصالح السياسية للولايات المتحدة بادئ الأمر، وبهدف التغلغل إلى مواطن القوة فيها، وكانت السياسية الأمريكية إذ ذاك ترى التحالف مع ألمانيا النازية بعد الحرب العالمية الثانية ضد الاتحاد السوفيتي؛ لكن هذه النخب سرعان ما تمثلت دموع التماسيح على هذه المحرقة إبان حرب حزيران ١٩٦٧م، عندما رأت الولايات المتحدة في إسرائيل وكيلًا جديرًا بها في الشرق الأوسط، فمالت معها حيث تميل مصالحها[٥٨].

٥. يُبرز الكتاب كثيرًا من جوانب الكذب والتضليل والخداع في صناعة الهولوكوست والتي اتخذتها النخب اليهودية الأمريكية والولايات المتحدة شعارًا لها، ويبيِّن فينكلستين جانبًا منها في سياق حديثه الموسَّع عن كتاب (العصفور المدهون)، وكتاب (شظايا)، وكتاب (جلادو هتلر المتطوعون)، وتفنيده لما تحويه هذه الكتب من أكاذيب وخيالات لا تمتُّ للواقع بصلةٍ، وكشفه عن دور النخب المثقفة في تسويق أفكارها المضللة، ودور الإعلام كذلك، وكيف تمَّت الاستفادة من نشر هذه الكتب على نطاقٍ واسع؛ لخدمة صناعة الهولوكوست، كما يفصِح عن دور هذه النخب أيضًا في مواجهة من تصدَّى لكشف زيف الكتب السابقة، وبيان كذبها، ويلفت إلى النفوذ الذي تتمتع به إلى الحدِّ الذي جعلها تهدِّد هؤلاء المبرزين للحقائق، وترفع الدعاوى ضدهم، وتؤلب دور النشر للامتناع عن نشر كتاباتهم.

٦. يُبرز الكتاب العديد من صور الابتزاز المزدوج في صناعة الهولوكوست، والتي لم تكتف المنظمات اليهودية الأمريكية والولايات المتحدة فيها على ابتزاز مختلف الدول الأوروبيَّة تحت ضغط المقاطعة الاقتصادية، والتلويح بالتهديدات السياسية فحسب، بل عانى منها ضحايا الهولوكوست أنفسهم، ومن ذلك ما ثبت من أنَّ الأموال التي تدَّعي هذه المنظمات المطالبة بها لأجل ضحايا الهولوكوست لا تذهب للضحايا أنفسهم، وإنَّما لخدمة أهداف هذه المنظمات المختلفة، كإعادة إحياء الجاليات اليهوديَّة في العالم العربي، وتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وتمويل متاحف الهولوكوست التذكارية، والكراسي الجامعية لدراسات الهولوكوست، وغير ذلك ممَّا يثبت حقيقة أنَّ المسألة لا تتعلق بالعدالة، وإنَّما هي

---

(٥٧) ينظر: المرجع السابق (ص: ٤٣-٤٧ وَ٥٦-٦٢ وَ٩٠).

(٥٨) ينظر: فينكلستين، صناعة الهولوكوست (ص:٢٣-٣٤).

صراعٌ على المال فحسب، الأمر الذي دفع عضو الكنيست الإسرائيلي مايكل كلاينر إلى توبيخ (مؤتمر المطالب) واصفًا إياه بأنَّه مجلسٌ عميلٌ يواصل أعمال النازيين بطرق مختلفة، كما اتَّهم المؤتمر بأنَّه "هيئةٌ مخادعةٌ تعمل في خفاءٍ محترفٍ وموصوفة بالفساد الخلقي والعلني البشع، إنَّه هيئةٌ ظلاميَّةٌ تسيء معاملة اليهود الناجين من الهولوكوست وورثتهم، فيما هي تجلس على كومةٍ هائلةٍ من المال الذي يخصُّ أفرادًا، ولكنها تجهد في أن ترث المال في حياتهم"[٥٩].

٧. تبدو لغة الكتاب من خلال الترجمة لغةً علميَّةً راقيةً، قد لا يتاح فهمها بسهولة لجميع المستويات، وهي إلى جانب ذلك سليمة من حيث التركيب، يندر فيها استخدام المصطلحات الغريبة التي قد تعدُّ أمرًا معتادًا في الكتب المترجمة؛ تبعًا لطبيعة الثقافة الغربية ومصطلحاتها الخاصة بها، وللمترجِمة جهدٌ مشكورٌ في توضيح بعض المبهمات أو ما يحتاج لشرح من المصطلحات أو العبارات؛ مما يساهم في تسهيل الفهم للقارئ.

ثانيًا: أبرز السلبيَّات لكتاب (صناعة الهولوكوست):

١. ترد في الكتاب بعض العبارات التي تحتاج إلى قراءتها أكثر من مرة ليُفهم سياق الكلام، كما ترد بعض الألفاظ التي ربما لا تتناسب وطبيعة الأبحاث العلمية، من ذلك على سبيل المثال: "ولكن نوفك شأنه شأن معظم المشهرين الفضائحيين، يركز فقط على الفضائح الأشد فظاعة، وكتابُه برغم كونه لاذعًا ومنعشًا، ليس نقدًا جذريًّا، فالافتراضات الأولية الأساسية التي يسلم بها دون تحدٍّ، إنَّ كتابه ليس بائخًا ولا هرطقيًّا، ولهذا فهو موجَّهٌ إلى الطرف الخلافي من مجموع أطياف الاتجاه الفكري التقليدي، وكما يمكن أن يتنبأ المرء، فقد ذُكر كتابه كثيرًا في وسائل الإعلام الأمريكية، وإن على تضاربٍ في الموقف منه"[٦٠]، ولا أعلم إن كان للترجمة علاقة بهذا الغموض؟

٢. يؤخذ على الكتاب الاكتفاء بتقسيم الكتاب إلى فصول فقط، فليس ثمَّة مباحث ولا أيُّ ذكرٍ لعناوين جانبية تنظم محتوى هذه الفصول، بل يقوم الكتاب على سرد محتوى كلِّ فصلٍ تباعًا حتى ينتهي، ثمَّ يشرع في الفصل الذي يليه، وهكذا حتَّى ينتهي الكتاب، وهذا مُتعبٌ ومجهدٌ للقارئ، ولا يعين على استيعاب عناصر كلِّ فصلٍ وضبط محتوياته بسهولة، كما أنَّه لا ييسِّر الوصول إلى عناصر الكتاب الفرعية أو محتوياته عند الحاجة.

٣. يؤخذ على الكتاب -ولعلَّ هذه الملحوظة لها علاقة بالمأخذ السابق-عدم التنظيم الجيد لأفكار الفصل الواحد وعناصره، فتجد الكاتب يبتدئ الحديث عن عنصر ويستفيض في ذكر ما يتعلق به من أدلة وشواهد وردود، ثم يتطرَّق إلى موضوع آخر، ولا يلبث أن يعود إلى الحديث عن العنصر الأول ويستكمل الحديث عنه، ولا يخفى ما يؤدي إليه هذا

---

(٥٩) فينكلستين، صناعة الهولوكوست (ص:١٢٨-١٢٩)، وينظر الصفحات: (ص:٨٧-٩٥ وَ١٢٨-١٢٩ وَ١٤٢).

(٦٠) فينكلستين، صناعة الهولوكوست (ص:١٥).

الأمر من تشتيتٍ القارئ، وإرهاقه في استيعاب أطراف الموضوع وجمعها.

٤. يُشرِّح د. فينكلستين في كتابه قصَّة صناعة الهولوكوست، ويشجبها ويدعو إلى إيقاف مصنعها، كما كشف من خلال كتابه الكثير والكثير من ألاعيب وأكاذيب النخب اليهوديَّة الأمريكية، وأثبت تواطؤ الولايات المتحدة مع إسرائيل، وكلُّها جوانب إيجابيَّة تنم عن جانب من العدالة والإنصاف، ووددت لو وضَّح رأيه فيما يُذكر من ثبوت وجود علاقةٍ حميميَّةٍ بين ألمانيا والصهيونيَّة؛ كانت هي الدَّافع لقيام الهولوكوست؛ بهدف دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين، وإقامة وطنٍ قوميٍّ لهم فيها، ويرى أصحاب هذا الرأي -كما تذكر بعض المراجع- أنَّ الهولوكوست النازية إنَّما صُمِّمت أساسًا من أجل اليهود، وتمَّت التضحية بجزءٍ منهم من أجل الهدف الأسمى للشعب اليهودي، وتحقيق حلمهم بقيام دولة إسرائيل في فلسطين، و"حسب الوثائق العائدة إلى فترة الحرب العالمية الثانية: أنَّ ألمانيا النازية قد تعاونت مع الحركة الصهيونية لإشعال الكراهية ضدَّ الساميين من أجل تهجير اليهود إلى فلسطين؛ لتأسيس الدولة الإسرائيلية، فقد سهَّلت البنوك الألمانية تسريب أموال اليهود الألمان من ألمانيا إلى بنوك يهوديَّة في فلسطين، وقد قامت الصهيونية بنشر معاداة السامية في جميع الدول الأوروبية وفي شمال إفريقيا، وشجَّعت بعض الأعمال الإرهابية ضدَّ تجمُّعات اليهود من أجل إقناعهم ودفعهم لهجرة البلاد التي كانوا يسكنوها وكانوا مواطنين فيها وذلك لدفعهم للهجرة إلى فلسطين، ويقول الكاتب اليهودي سولفريد: لقد قدمت النازية فرصة تاريخية لتأكيد الهوية اليهودية واستعادة الاحترام الذي فقدناه بالاندماج، إنَّنا مدينون لهتلر وللنازية... ويقول إيرفينغ: هناك بعض ما يثبت أنَّ اليهود قاموا بالتضحية بالمسنِّين منهم، وإغراء النازيين بحرقهم في سبيل استدرار عطف العالم بعد ذلك لإقامة وطن لهم في فلسطين... فلو نظرت إلى اليهود المجريِّين، ستجد أنَّ قادتهم حاولوا التوصل إلى معاهدة مع (أدوف إيخمان)، بموجبها لو وافق (إيخمان) على تشجيع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين فسوف يساعدونه على الإمساك ببقيَّة اليهود، وإرسالهم إلى فلسطين، وهناك دليل على ذلك في الأرشيف الألماني... وزار (إيخمان) فلسطين عام ٣٧، وقام بالتفاوض مع زعماء الصهاينة... لقد كان هتلر أهمُّ أصدقاء اليهود، فبدون هتلر ربما لم تقم إسرائيل"[٦١]، .

٥. من الإنصاف تثمين الموقف الجريء لد. فينكلستين في تجريم انتهاكات إسرائيل المتكررة بحقِّ الشعب الفلسطيني، وعدم غضِّ الطرف عن تعاطفه معهم، واستنكاره ما يتعرضون له من إبادة ووحشية من قِبل إسرائيل، وهو ممَّا يضاف إلى مذكرات إنصافه وعدالته، ولكن ثمَّة تساؤلٌ أو تساؤلات تفرض نفسها أيضًا، ووددت لو أملك طريقة للتواصل مع د. فينكلستين لأطرحها عليه، وأعرف موقفه منها، تدور هذا التساؤلات حول موقفه من وجود إسرائيل أساسًا في فلسطين، فالواضح من مواقف فينكلستين تجريمه

([٦١]) الجسر، القصة الكاملة لأكذوبة المحرقة اليهودية (الهولوكوست)، موقع شبكة فلسطين للحوار، على الرابط: http://cutt.us/GATh١.

للانتهاكات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، وعُرِف عنه تصريحه بموافقته لمشروع حلِّ الدولتين الذي مازالت تقدمه الأمم المتحدة[٦٢]، ولَست بصدد مناقشة عدالة هذا الحلِّ بالنسبة للجانب الفلسطيني، لكن الملفت بالنسبة لي أنَّي لم أجد لفينكلستين -حسب ما وقفت عليه من مصادر- أيَّ رأي تجاه مشروعيَّة منح اليهود دولة في فلسطين، إذ هي الأساس والمنطلق في الصراع الإسرائيلي العربي، وليس الاتفاق على حدود للدولتين كواقع مفروض بحكم الهيمنة الغربية، ولا أعرف موقف د.فينكلستين من ذلك؟ كما لا أفهم سبب غياب الإشارة إليه أثناء حديثه عن القضية الفلسطينية؟ فهل يرى د. فينكلستين من حقِّ اليهود كونهم تعرَّضوا للظلم من قبل هتلر والنازيين الألمان أن يوقعوا ظلمهم على أهل فلسطين، ويفرغوا غضبهم بظلمٍ أعظم مما تعرضوا له؟ وما الذي كان من واجبهم فعله لنيل حقوقهم المسلوبة، هل أن يولوا ألمانيا ظهورهم، ويتَّجهوا صوب فلسطين، ويغصُبوا أهلها حقهم في بلادهم بدلًا من مطالبة ألمانيا بمنحهم حقوقهم المسلوبة دون إيقاع الظلم على شعبٍ آخر له علاقة بمكانٍ مقدَّسٍ لدى اليهود، وفي منطقةٍ تثير أطماع الغرب فيها؟ وفق تصوُّري لا يمكن أن يوافق على ذلك، بيد أنَّ تلك التساؤلات ما زالت تنتظر الإجابة الأكيدة عليها.

٦. أشار د. فينكلستين إلى ابتزاز المنظمات اليهودية الأمريكية للدول الأوروبية باسم ضحايا الهولوكوست، وما يتمُّ من تزويرٍ في أعداد الضحايا لتسهيل عملية الابتزاز، كما تطرق لإحصائية عدد الناجين من الهولوكوست بعد الحرب العالمية الثانية وأنَّها قُدِّرت بـ١٠٠ ألف ناج، وذكر أنَّ هذا الرقم قد تقلص اليوم -بحسب توقيت كتابه- إلى الربع، كما أورد العديد من مظاهر التلاعب الحاصل بالأرقام لتبرير المطالبة بالتعويضات للضحايا[٦٣]، ووددت لو أنَّه تطرَّق لتمحيص ما ورد في أعداد ضحايا المحرقة قبل حديثه عن التزوير الحاصل في أعداد الناجين بهدف الابتزاز المالي، وقد ورد في لقائه على قناة الجزيرة حول كتابه (صناعة الهولوكوست) ردًّا على سؤال المذيع له عن الطريقة التي نجح بها محترفي صناعة الهولوكوست في تغيير العقلية الأمريكية والعالمية، وجعلها الحدث الأبرز الذي ظهر في العالم خلال هذا القرن، فأجاب: "دعني أوضِّح النقطة الأخيرة؛ إنَّ الاضطهاد الفعلي لليهود، وإبادة حوالي خمسة إلى ستة ملايين يهودي هي حقيقةٌ تاريخيةٌ، أمَّا أسلوب استغلالها من قبل صناعة الهولوكوست مسألةٌ منفصلةٌ، وأنا أتفق معك في أنَّ هناك مسألةٌ مثيرةٌ للاهتمام هنا حول كيف تمكنت صناعة الهولوكوست من تعبئة كلِّ هذه الموارد الهائلة لفرض هذه الأيدولوجية ليس فقط في الولايات المتحدة،

---

(٦٢) حل الدولتين: حل مقترح للصراع العربي الإسرائيلي، ويقوم على أساس دولتين في فلسطين التاريخية تعيشان جنبًا إلى جنب، هما دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل، ينظر: حل الدولتين، موسوعة ويكيبيديا على الرابط: http://cutt.us/sMdr.

(٦٣) ينظر: فينكلستين، صناعة الهولوكوست (ص:٨٧-٩٠).

ولكن-كما قلت وعلى حقٍّ– في كلِّ أنحاء العالم"[٦٤]، فيظهر من إجابته موافقته ما يشاع من أنَّ عدد ضحايا المحرقة ٥ أو ٦ ملايين يهوديّ، وثمَّة تساؤلات تحتاج إلى تحريرٍ لإجابتها: ما مدى صحَّة هذا العدد؟ وهل يُستبعد حصول تلاعب في هذا العدد أيضًا؛ لخدمة أهداف الهولوكوست على غرار التلاعب الحاصل في أرقام الناجين من الضحايا لأجل الابتزاز المالي للمنظمات اليهودية؟ وكيف يمكن أن يُرد علميًّا على الأقوال المنكرة لهذه الأعداد، واستحالتها، مع ما تذكر من إثباتات لصحة دعاويها؟[٦٥] هذه التساؤلات أيضًا لا زالت تحتاج إلى إجابات لتحريرها وإزالة اللبس عنها.

المبحث الثالث: قراءة تحليلية نقدية لكتاب: (ما يفوق الوقاحة):

المطلب الأول: عرض لأهم محتويات الكتاب:

المقدمة[٦٦]**:** وابتدأها فينكلستين بالحديث عن أطروحته للدكتوراه والتي تناول فيها نقد كتاب (منذ قديم الزمان) لجون بيترز، والذي حاولت فيه بيترز -من خلال استخدام آليات البحث العلمي- تزييف الحقائق وإثبات أنَّ فلسطين كانت فارغة فعليًّا قبل مجيء الصهاينة لها، وأنَّه لما استوطنها اليهود؛ وجعلوها تزدهر؛ بدأ العرب من الدول المجاورة بالتدفق عليها، وتظاهروا بأنَّهم كانوا سكانها الأصليين، وفي أطروحة فينكلستين للدكتوراه بين زيف هذه الادِّعاءات وكذبها، وذكر أنَّ هناك عدَّة نقاط يدور -في الغالب- الخلاف فيها حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، فثمَّة رواياتٌ مختلفةٌ حول أصل الصراع ووجود إسرائيل، ويرى فينكلستين أنَّ السجل التاريخي أثبت بشكلٍ واضح المرحلة الأساسية لتأسيس المستوطنات اليهودية في أواخر القرن التاسع عشر، وحتى تأسيس إسرائيل عام ١٩٤٨م، كما يشير إلى أنَّ الخلاف كثيرًا ما ينشأ حول مسألة حقوق الإنسان الفلسطيني، وأورد في الكتاب تقارير سجلات منظمات حقوق الإنسان التي تقوم بمهمة مراقبة ما يجري في إسرائيل، مثل: منظمة العفو الدولية، ومنظمة هيومان رايتس ووتش، ومنظمة بتسليم (مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة)، وفند في هذا الكتاب بشكلٍ موسَّع أطروحة ألان دارشفيتز (مرافعة لإسرائيل)، والتي ضمَّنها مؤلفها الكثير من الزيف والخداع حول احترام إسرائيل لحقوق الإنسان الفلسطيني، ويصف فينكلستين أطروحة دارشفيتز بأنَّها أشد استخدامًا للخداع من أطروحة بيترز، بل هي -من

---

(٦٤) صناعة الهولوكوست، حوار مع فينكلستين في برنامج بلا حدود، على موقع الجزيرة نت، على الرابط: http://cutt.us/DEQd

(٦٥) ينظر: الشواهد المنكرة لهذا العدد والتي وردت نماذج منها في مقالي: الهولوكوست التمثيلية الكبيرة، موقع طريق الإسلام، على الرابط: http://cutt.us/GDRiB، والجسر، القصة الكاملة لأكذوبة المحرقة اليهودية (الهولوكوست)، موقع شبكة فلسطين للحوار، على الرابط: http://cutt.us/GATh١.

(٦٦) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، المقدمة (ص:١٥-٣٣).

وجهة نظره- من أخطر الاحتيالات الأكاديمية التي نُشرت على الإطلاق في مجال الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.
ويختم مقدِّمته بذكر الهدف من تأليف الكتاب: وهو رفع الستار عن الخلافات المفتعلة التي تلف الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وأنَّه على قناعةٍ تامَّةٍ بأنَّ أيَّ شخصٍ يواجه السجل غير المشوَّه سيميِّز ببساطة حجم الظلم الذي يعانيه الفلسطينيون، ويدعو القراء إلى الاستناد دومًا إلى الحقيقة ليتمكنوا من تحقيق سلامٍ عادلٍ ودائمٍ في إسرائيل وفلسطين.

التمهيد[٦٧]**:** وتناول فيه الحديث عن السجلات التي لا خلاف فيها حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وعن الخلاف المختلق لتبرير سياسية إسرائيل القمعية تجاه الشعب الفلسطيني.
وأشار إلى أنَّ أهم قضيَّة مثيرة في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هي قضية اللاجئين، وأنَّ السائد في الأوساط الإسرائيلية والغربية أنَّ اللاجئين خرجوا من ديارهم بأمر من القادة العرب؛ لفسح المجال أمام الجيوش العربية؛ لكن اتَّضح بعد ذلك أنَّ هذا غير صحيح، بل وثبت تعرُّض الشعب الفلسطيني لعملية تهجير متعمَّدة من قِبل إسرائيل؛ انطلاقًا من فلسفة الترانسفير (التطهير العرقي)، والتي لها جذرٌ متأصلٌ في الفكر الصهيوني، وتشكل الرؤية الاستراتيجية العقديَّة للقادة الصهاينة، ورغم التصريح بهذه الحقائق إلا أنَّ وسائل الإعلام الأمريكية كانت وما زالت تقف مع التصريحات الإسرائيلية، وترى في مثل هذه الحقائق العلمية –كنقد فينكلستين لأطروحة جون ودار شفيتز- هرطقة فعلية، وتصريحات كاذبة.
ويرى فينكلستين أيضًا خلوَّ السجل القانوني الديبلوماسي الذي يحدِّد شروط التسوية للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني من أيِّ نزاع وخلافٍ، مشيرًا إلى الرأي الاستشاري للمحكمة الدولية عام ٢٠٠٤م، بشأن الجدار الفاصل الذي أنشأته إسرائيل في الضفة الغربية، وأنَّه غير قانوني بموجب القوانين الدولية، كما أشار إلى قضية اللاجئين وإقرار الأمم المتحدة حق العودة للاجئين الفلسطينيين عام ٢٠٠٥م، وإلى قرار التسوية السلمية للنزاع الصادر عن جمعية الأمم المتحدة وكذلك مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠م، ويؤكِّد في كلِّ ذلك على أنَّ الفلسطينيين في كلِّ مرةٍ كانوا يقبلون بأقل كثيرًا مما يستحقون، فيما كانت إسرائيل تطلب أكثر مما تستحق بشكلٍ مبالغ فيه، وكان من نتيجة عدم التزام إسرائيل بالقوانين الدولية معاقبة الفلسطينيين بعقاب جماعي رغم دعمهم التسوية، وحل الدولتين، في حين لم تتعرض إسرائيل لشيءٍ من هذا مع أنَّها هي من ترفض التسوية وتعارضها.
وفي سياق حديثه عن النوع الثاني من أنواع اختلاق الخلاف يشير إلى اللعب بورقتي الهولوكوست والسامية الجديدة من أجل نشر الغموض حول السجل التاريخي والحقيقي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، -وقد سبقت الإشارة في المبحث الثاني من هذه الدراسة- إلى أن الهولوكوست تعتمد على مذهبيتين جامدتين، إحداهما: ادعاء أنَّ معاناة اليهود هي

(٦٧) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، سجل لا خلاف عليه، واختلاق الخلاف (ص:٣٧-٨٩)، والتمهيد هو تسمية من قبل الباحثة لم يشر إليها المؤلف في كتابه، وإنما ساق الموضوعين بعد المقدمة ثم شرع في سرد قسمي الكتاب.

فريدةٌ من نوعها، والثانية: أنَّ عداء غير اليهود لليهود أزليٌّ ليس له حدود، ومن خلال هاتين القاعدتين انطلقت إسرائيل في تبرير عدوانها على الشعب الفلسطيني، ومهاجمة النقد الموجه لانتهاكاتها اللامحدودة عليهم، بل إنها سعت إلى وصم الفلسطينيين باللاسامية، واتهامهم بالعدوان والإرهاب والتطرف، والرغبة في العنف والتدمير الكامل لإسرائيل، بل بلغ الحال إلى اتِّهامهم مفتي القدس: الحاج أمين الحسيني بأنَّه المدبر للهولوكوست التي نفَّذها هتلر ضدَّ اليهود، وأنَّ العرب وراء معاناة اليهود في كلِّ مكان.

أمَّا الاختلاق الثالث الذي يدعم وجود الخلاف فيتجلَّى في نشر الوثائق المزورة التي تحاول عبثًا إثبات حق اليهود في فلسطين، أطروحة جون بيترز على سبيل المثال؛ والتي تدَّعي فيها أن الفلسطينيين قد تسربوا إليها بعد أن حوَّلها اليهود قبلهم إلى جنة غناء، ويصف فينكلستين الانتشار المريع لمثل هذه الأطروحات المزيفة للتاريخ والمليئة بالكذب والهراء، بأنَّه وصل إلى حدِّ السفاهة والجنون، وتكمن الخطورة في نشر هذ الزيف بالقدر الذي تحاول فيه هذه النخب إسباغ الشرعية على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وتبرر انتهاكات إسرائيل.

وكما أشار إلى أطروحة جون بيترز (منذ قديم الزمان)، تناول في حديثه تفنيد أطروحتي ألان دارشفيتز (مرافعة من أجل إسرائيل)، و(مرافعة للسلام)، وسرد الكثير من مواضع التزييف، وقام بالرد عليهما، وأشار إلى دور الإعلام في نشر هذه الأكاذيب، وتغاضيه عن الردود التي كشفت زيفها، وأنَّ ذلك يخدم أجندة ومصالح النخب اليهودية المستحوذة على الإعلام، مؤكِّدًا على أنَّ حماية الولايات المتحدة لإسرائيل ودعمها العسكري والسياسي لها هو المبرر الوحيد لجرأة إسرائيل، وتكرر انتهاكاتها في حق الشعب الفلسطيني.

وتحت القسم الأول: وردت عدَّة تصنيفات، أوَّلها: **من فيلم (النجم الساطع يسوع المسيح) إلى فيلم (عاطفة المسيح)**[٦٨]، وأشار فيه فينكلستين إلى ورقة اللاسامية الجديدة التي تلوِّح بها النخب اليهودية الأمريكية كوسيلة لجذب التعاطف مع إسرائيل، وحرف النقد عن سياستها الوحشية ضد شعب فلسطين، وتحدَّث في هذه الجزئية عن فيلمي (النجم الساطع)، و(عاطفة المسيح)، وكيف اتخذهما مؤلفي كتاب (اللاسامية الجديدة)، أرنولد فورستر وبنجامين إبستين نموذجًا على التكريس للاسامية الجديدة، رغم أنَّ مخرج الفيلم الأول له أفلامٌ أخرى متعاطفة مع اليهود، ولكن الأمر لا يخرج عن كونه محاولة لاستغلال عرض هذه الأفلام للتخويف من انتشار اللاسامية الجديدة، وبالتالي ووفق هذه التهمة يمكن مواجهة النقد الموجه لإسرائيل، والكف عن مطالبتها بالانسحاب عن الأراضي الفلسطينية وفقًا للقوانين الدولية، ويؤكِّد مؤلفو كتابي (اللاسامية الجديدة)، و(اللاسامية الحقيقية في أمريكا) على تسليط الضوء على معاداة السامية من قِبل الأطياف المتعددة في المجتمع، مغفلين دور

(٦٨) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الأول، من فيلم (النجم الساطع يسوع المسيح) إلى فيلم (عاطفة المسيح) (ص:٩٤-١٠٦)

إسرائيل الأساس في استعداء العالم عليها، والناتج عن عدم خضوعها للقوانين الدولية، ورفضها لها.

وتحت عنوان: إسرائيل (يهودي بين الأمم)[٦٩]**:** أشار فينكلستين إلى أنَّ ناثان وروث كانا قد نزعا في كتابهما (اللاسامية الحقيقية في أمريكا) صفة الشيطانية عن اللاساميين، واكتفيا بوصفهم بأنَّهم أغيار لهم مصالح تتعارض مع مصالح اليهود، أمَّا عندما تعرضت السياسات الإسرائيلية للتمحيص؛ أصبح لا بد من إسباغ صفة الشيطانية على أعداء السامية ومنتقدي إسرائيل، وعليه فأصبحت العبارة السائدة في اللاسامية الجديدة المتجدِّدة هي أنَّ إسرائيل أصبحت (اليهودي بين الأمم)، واستعرض فينكلستين العديد من النماذج التي تناولت اللاسامية الجديدة، مثل كتاب (اللاسامية الجديدة) لفيليس تشيسلر، وتقرير (تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي)، والذي تزامن صدوره مع الفترة التي شهدت تعاطفًا مع الفلسطينيين، وتوجَّه فيها العداء لإسرائيل، نظرًا لقمع إسرائيل للفلسطينيين في حرب لبنان، والانتفاضة الثانية، مع إيراده العديد من النماذج للتعاطف مع الفلسطينيين في عدة دول أوروبية.

كما أشار إلى القائمة الموسعة التي تشملها اللاسامية –حسب تشيسلر- وإلى كتاب روزنباوم الذي جمع فيه العديد من المقالات حول اللاسامية الجديدة بعنوان: (أولئك الذين ينسون الماضي، مسألة اللاسامية)، وتناول مقالات هذا الكتاب بالنقد والتفنيد مقالًا مقالًا، ومن المثير للدهشة مما ضمَّته هذه المقالات اتهام بريطانيا باللاسامية، فيقول رزونباوم أنَّ بريطانيا لما منحت اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين لم تهدف إلى إقامة وطنٍ لهم، وإنما أرادت طردهم من أوروبا، والاحتفاظ بممتلكاتهم المسروقة، ويضيف أنها وضعت اليهود في صحراء وفي بلد صغير لا يتسع لهم مع الفلسطينيين؛ مما كان سيؤدي حتمًا لحدوث صراع بين الطرفين، ستضطر معه إسرائيل للدفاع عن نفسها، وتقع ضحيةً لكراهية الفلسطينيين واحتمال تعرضها للإبادة تبعًا لذلك، فأصل منح اليهود هذا الوطن هو مؤامرة كونية لقتلهم والقضاء عليهم!!

وفي الجزئية بعنوان: هجم الذئب[٧٠]**:** أشار فينكلستين إلى العناصر الثلاثة التي تقوم عليها اللاسامية الجديدة، وهي: المبالغات والاختلاقات، وإساءة تصنيف النقد المشروع للسياسة الإسرائيلية، والامتداد غير المبرر من انتقاد إسرائيل إلى انتقاد اليهود بصفة عامة، ويذكر في حديثه أنَّ الأدلة على اللاسامية الجديدة تأتي في الغالب من منظمات لها ارتباط مباشر أو غير مباشرٍ بإسرائيل، ولها مصلحةٌ ماديةٌ من تضخيم اللاسامية، كما يشير إلى اعتماد هذه المنظمات في توفير البيانات الخاصة باللاسامية على المنظمات اليهودية الأمريكية

(٦٩) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الأول، اليهودي بين الأمم (ص:١٠٧-١٤١)

(٧٠) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الأول، هجم الذئب (ص:١٤٣-١٦٣).

المحلية، ويؤكِّد ثبوت المبالغة والاختلاق في العديد من الادعاءات بخصوص اللاسامية، كما يلفت النظر إلى أنَّ من الأمور المهمة التي ثبتت بعد النقد والتمحيص أنَّ أشد الإدانات التي وردت -في قضية اتهام جامعة كولمبيا باللاسامية على سبيل المثال- لم تكن تتعلق بناقدي إسرائيل بل بمؤيِّديها، ورغم ذلك فقد أُجبرت الجامعة على تخصيص كرسي للدراسات الإسرائيلية، علاوةً على تخصيصها كراسي لدراسات الهولوكوست، مؤكِّدًا أنَّ الأدلة التي تثار لإثبات وجود اللاسامية الجديدة يظهر بعد التحري أنها ليست أدلة على الإطلاق، ويضيف أنَّ ثمة إجماعٌ كبيرٌ بين المختصين بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني على تزامن اللاسامية الجديدة مع آخر تصادم في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في عملية الدرع الواقي وحصار جنين عام ٢٠٠٢م، وبدء الانتفاضة الفلسطينية، والتي تصاعدت بعدها موجة العداء ضد إسرائيل، وتأجَّجت مشاعر الكراهية تجاههم، مما يؤكِّد على وجود علاقة سببية بين القمع الوحشي الإسرائيلي على الفلسطينيين وبين العداء والكراهة لإسرائيل والمدافعين عنها بصفةٍ عامَّةٍ، مستدلًّا لذلك على حدوث نقص في كراهية إسرائيل واليهود بسبب الأمل الكبير الذي شاع بحلول تسوية عادلة أثناء السنوات المبكرة لعملية السلام في مفاوضات أوسلو، مما يثبت أنَّ موقف إسرائيل هو السبب الأول في تكريس العداء ضدها أو التسامح معها.

القسم الثاني[٧١]**:** أشار فينكلستين في مقدمة القسم الثاني أنَّه سيتناول في فصوله تفنيد كتاب ألان دارشفيتز (مرافعة لإسرائيل)، وسيقدِّم فيه صورةً شاملةً عن السجل الإسرائيلي في مجال حقوق الإنسان، حسبما أثبتته منظمات حقوق الإنسان الرئيسية (مثل منظمة العفو الدولية، ومنظمة هيومان رايتس ووتش، ومنظمة بتسليم وغيرها، كما نوَّه إلى التشابه في الظروف والأهداف والغرض والتوقيت في صدور كتابي جون بيترز (منذ قديم الزمان)، وألان دارشفيتز (مرافعة لإسرائيل)، فكلا الكتابين صدرا بعد تورُّط إسرائيل في انتهاكاتٍ شنيعةٍ لحقوق الفلسطينيين، كتاب بيترز عام ١٩٨٤م، بعد اجتياح لبنان، وكتاب دارشفيتز عام ٢٠٠٣م بعد الانتفاضة الثانية، والغرض من الكتابين رفع معنويات الجمهور الصهيوني المخلص، كما تقوم منهجيتهما على تشويه السجل التوثيقي تحت غطاء العمل الأكاديمي.

قذارة السلاح[٧٢]**:** يورد فينكلستين تحت هذه الجزئيَّة الادعاءات التي عرضها دارشفيتز في كتابه ويرد عليها وفقًا لتقارير منظمات حقوق الإنسان، فعلى سبيل المثال: فيما يتعلَّق بإحصائيات القتلى في الجانبين في الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٣م يشكِّك دارشفيتز في الإحصائيات الواردة في سجلات منظمات حقوق الإنسان والتي تحدثت عن ٢٣١٦ قتيل

(٧١) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الثاني (ص:١٦٧-٣١٥).

(٧٢) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الثاني، قذارة السلاح (ص:١٧٥-٢١٥).

فلسطيني، مقابل ٨٢٧ قتيل إسرائيلي، كما يسعى للتشكيك في الدوافع للقتل، ويعمد لتحسين صورة إسرائيل ونعتها بالنية الحسنة، وعدم تبييت النية للقتل المتعمَّد للجانب الفلسطيني، في حين يتَّهم الفلسطينيين بالرغبة المتعمَّدة لقتل المزيد من الإسرائيليين لو كان بيدهم ذلك، بينما تكشف إحصائيات سجلات منظمات حقوق الإنسان والتي أورد فينكلستين نماذج منها على سبيل الإثبات والشواهد أنَّ القتل من جهة إسرائيل كان متعمدًا، وأوضح بما لا مجال للشك فيه استهتار الإسرائيليين بالحياة الإنسانية، مما جعلهم يطلقون النار على المدنيين بما في ذلك الأطفال والكبار دون تمييز بين المسلحين والمدنيين، ودون احترامٍ لأيِّ قوانين دوليَّة، بل إنَّ هذه التقارير أثبتت تورُّط الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل في هذه الجرائم؛ نظرًا لاستخدام الأخيرة طائرات هيلوكوبتر زودتها بها الولايات المتحدة لتنفيذ عمليات خارج نطاق القانون، ولإطلاق النار على أهداف أدَّت إلى مقتل مدنيين منهم أطفال.

ويتابع فينكلستين سرد ادعاءات دارشفيتز لمحاولة تبرير انتهاكات إسرائيل، ويردُّ عليها واحدةً واحدةً، مع سوق الدلائل من سجلات منظمات حقوق الإنسان، وجاء ذلك تحت عناوين فرعية ثانوية، مثل: ليس هناك أي دليل، ويقصد به ما ادعاه دارشفيتز من عدم وجود أي دليل على تعمُّد الجنود الإسرائيليين لقتل المدنيين، في حين يثبت واقع السجلات نقيض ذلك، كذلك ادعاؤه محاولة جنود إسرائيل تقليص الإصابات القاتلة وتجنُّب الإصابات بين المدنيين، ولكن في جميع الحالات ينقض فينكلستين هذه الدعاوى المزيفة، من واقع تقارير وسجلات منظمات حقوق الإنسان الشاهدة على بطلان هذه الدعاوى.

وتناول كذلك توضيح حقيقة استفزاز الجيش الإسرائيلي للفلسطينيين ومحاولة دفعهم للمواجهة من باب التسلية والرياضة لهؤلاء الجنود ذوي الطابع الوحشي، كما يناقش قضية استغلال إسرائيل للأطفال، ويكشف حقيقة تضحيتها بهم كعلامة على ثقافة الموت لديها، والتي تتهم بها الفلسطينيين، ويواصل ذكر ادعاء أنَّ الفلسطينيين لم يحاولوا دعم العصيان المدني والوسائل اللاعنفية؛ وأنهم لو فعلوا ذلك لأقاموا دولتهم في أقصر وقت –حسب زعم دارشفيتز- ثم يفنِّده من واقع حركة التضامن الدولية وهي منظمة تقوم على استخدام العمل اللاعنفي المباشر كوسيلة للمساعدة في إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للمناطق الفلسطينية، ومساندة الفلسطينيين في حياتهم اليومية، ويوقِّع أفرادها التزامًا مكتوبًا بانتهاج اللاعنف الجسدي واللفظي، حيث يُعدُّ هذان النوعان من العنف ممنوعين منعًا باتًّا لدى أعضاء هذه الحركة، وهي حركة تضم تحتها الكثير من الأجانب، ويشكِّل اليهود ٢٠% من متطوعيها، ورغم ذلك فقد أقدمت قوات الجيش الإسرائيلي على قتل (راشيل كوري)، إحدى عضوات هذه الحركة، وجرفتها بالجرافة التي كانت معدَّة لهدم منزل أحد الفلسطينيين، وتمَّ دهسها حتى الموت؛ بينما كانت كوري تعمل على حماية منزل ذلك الفلسطيني من الهدم.

ثلاث رصاصات في مؤخرة الرأس[٧٣]**:** ويتحدث فينكلستين في هذه الجزئية عن إعلان إسرائيل لتبنيها الرسمي لسياسة الاغتيالات المتعمدة للنشطاء الفلسطينيين والمشتبه بهم بدعوى أنَّهم ينظِّمون هجمات وينفِّذونها ضدَّ إسرائيل، وأشار إلى أنَّ هذه السياسة بدأت منذ عهد إيهود باراك الذي نظَّم فرقًا للاغتيالات الخاصة، وجاء بعده إسحاق رابين الذي أقرَّ سياسة تدمير الممتلكات الفلسطينية والقبض على المطلوبين، وعرض فينكلستين دعاوى دارشفيتز فيما يتعلَّق بمحاولته إثبات مشروعيَّة ما تقوم به إسرائيل، وأنَّه في إطار دفاعها عن النفس، مدعِّما كلامه بتقارير منظمات حقوق الإنسان التي أثبتت أنَّ زعم إسرائيل أنَّها لا تلجأ إلى الاغتيال إلا في حال الاستجابة لمخاطر أمنيَّة وشيكة لا يمكنها التعامل معه بأي طريقةٍ أخرى، زعمٌ غير صحيح، لوجود أدلة تثبت عدم مصداقيته، وعليه فلا يمكن تمرير مثل هذه الممارسات الإسرائيلية الوحشية، بل أثبتت هذه المنظمات أنَّ ما تقوم به إسرائيل هو أمرٌ مخطَّطٌ له مسبقًا، بهدف انتهاك حقوق الإنسان.

أبو غريب الإسرائيلية[٧٤]**:** تحدَّث فينكلستين تحت هذا العنوان عمَّا وثَّقته منظمات حقوق الإنسان من الممارسات الإسرائيلية الواسعة في التعذيب المنهجي للمحتجزين والأسرى الفلسطينيين، وأثبتت هذه المنظمات أنَّ تعذيب السجناء هو منهجيَّة إسرائيلية ثابتة، وأنَّ التعذيب يشمل أغلب السجناء، وله أساليب متعددة، منها: الخزانة، الثلاجة، الشبح، ربطة الموزة، والضرب في أجزاء الجسم المختلفة، وأورد أشكالًا توضيحية كنماذج لبعض هذه الأساليب، كما سلَّط الضوء على الدور الذي قام به دارشفيتز في الدفاع الباطل، ومحاولة نفي التهمة عن إسرائيل لممارستها التعذيب في حقِّ عددٍ من الأسرى الفلسطينيين، مثل: فوزي الأسمر، وسامي إسماعيل، ومحمود العبد، رغم ثبوت وقوع التعذيب عليهم.

ومن خلال العديد من الأمثلة تحت عناوين فرعية ثانوية، مثل: إساءات تحدث أحيانًا، ومنظمة العفو الدولية كذبت، وتعذيب طفيف، وحالة طبية، والقنبلة الموقوتة، والمعيار المزدوج، ولا مزيد من التعذيب، يسوق فينكلستين محاولات دارشفيتز لدحض الاتهامات الموثقة التي وجهتها منظمات حقوق الإنسان لإسرائيل فيما يتعلَّق بقيامها بتعذيب المحتجزين لديها، ويقوم بالردِّ بما تحويه سجلات هذه المنظمات على مزاعم دارشفيتز المضللة، وانتهى بذكر استنتاج منظمة بتسليم، والذي مفاده أنَّ ما تقوم به إسرائيل من تعذيبٍ للمحتجزين مخالفةً للقوانين الدولية، يحمل رسالةً مفادها: أنَّ حياة الفلسطينيين وكرامتهم لا قيمة لها.

(٧٣) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الثاني، ثلاث رصاصات في مؤخرة الرأس (ص:٢١٧-٢٢٧).

(٧٤) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، أبو غريب الإسرائيلية (ص:٢٢٩-٢٥٦).

عودة المدمرين[٧٥]**:** تحدث فينكلستين تحت هذه الجزئية عن تدمير إسرائيل الشامل لبيوت الفلسطينيين في المناطق المحتلة، وأنَّ استخدامها لهذا الإجراء يأتي إمَّا بوصفه شكلًا من أشكال العقاب، أو بوصفه إجراءً إداريًّا، أو بوصفه إجراءً عسكريًّا أمنيًّا.
وتحت كلٍّ مبرِّرٍ من هذه المبرِّرات يورد فينكلستين ما ورد في سجلات منظمات حقوق الإنسان من إدانات لجرائم إسرائيل وانتهاكاتها الصارخة لحقوق الإنسان الفلسطيني، كما يورد جوانب من الوقاحة -إن صحَّ التعبير- التي يدَّعيها دارشفيتز في سياق دفاعه الأعمى عن إسرائيل، ويظهر مدى الازدواجية في المعايير الأخلاقية لديه حين يرى أنَّ هدم البيوت وتدميرها هو عقاب من نوع رقيق، ويصنِّفه بأنَّه أهون من سجن المعتقل، كما يرى أنَّه من منطلق المسؤولية الجماعية فإنَّ التدمير لا يكون انتهاكًا وتعديًّا، فمن وجهة نظر دارشفيتز طالما أنَّ الكثير من الفلسطينيين مؤيدين لأنشطة الإرهابيين العدائية ضدَّ إسرائيل؛ فيستحقون إذن أن ينالهم العقاب الجماعي، بتدمير البيوت، وهدم الممتلكات، وتخريب الأراضي ... إلى غير ذلك، مما تفرضه المسؤولية الجماعية عن الخطأ، ويكشف فينكلستين الهدف الحقيقي من هذا التدمير الهائل للبيوت، وأنَّه ليس كما يُشاع بهدف تحسين الوضع الأمني لقوات الدفاع الإسرائيلية، بل الهدف منه تفريغ المناطق الحدودية من أجل تيسير السيطرة بعيدة الأمد على قطاع غزة حتى بعد تنفيذ خطة الانفصال الإسرائيلية، وفي القدس الشرقية بهدف تحويل الصبغة العرقية للمناطق التي ضمتها إسرائيل من الصبغة العربية إلى اليهودية، ما يشير إلى التخطيط الممنهج لإحداث تغيير ديموغرافي في تركيبة السكان، وأشار فيما ذكر دعوى دارشفيتز بأنَّ إسرائيل لا تقوم بتدمير المنازل إلا بعد تفريغها من السكان، وأثبت زيف هذه الدعوى، مع إيراد الشواهد والأدلة على ذلك، مما ثبت معه تدمير المنازل بمن فيها من السكان، مما عرَّض حياة عوائل كاملة للتلف.

بلاءٌ على الأمم[٧٦]**:** يسعى فينكلستين في هذه الجزئية إلى تجسيد حجم الخسائر والهدر والانتهاكات لحقوق الفلسطينيين من جراء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وانتهاج إسرائيل لسياسة القمع والوحشية تجاه شعب فلسطين، ما يعكس من خلاله حجم البلاء الذي توقعه هذه الدولة المحتلة أينما تحلُّ، وردَّ في سياق حديثه على زعم دارشفيتز بأنَّ الفلسطينيين استفادوا من الاحتلال الإسرائيلي في ازدهار معيشهم، وتحسين حياتهم المادية، موضِّحًا أنَّ ذلك ربما كان في بداية الأمر، لكنه ما لبث أن حصل انهيارٌ شبه كامل للاقتصاد الفلسطيني، وحدثت له انتكاسة عنيفة، مما يوجب حمل الأمور على نتائجها، وليس من خلال بداياتها التي قد تكون انتهازية.
وتناول في حديثه السياسات الإسرائيلية القمعية ضد شعب فلسطين في العديد من المناطق الفلسطينية كغزة ورفح وغيرهما، وأورد أمثلة على نتائج هذه السياسات القمعية كالفقر

(٧٥) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الثاني، عودة المدمرين (ص:٢٥٧-٢٨٠).
(٧٦) ينظر: المرجع السابق، القسم الثاني، بلاء على الأمم (ص: ٢٨١-٢٩٨).

المدقع، وسوء التغذية، وانتشار البطالة، وشلل الحركة التجارية، كما تحدَّث عن عمليات الحظر غير المبررة قانونيًا، والجدار الفاصل، وآثاره السلبية على الحياة المعيشية للفلسطينيين، وكشف عن أنَّ الهدف الحقيقي من إنشائه ليس كما تدَّعيه إسرائيل كونها ترى فيه الخيار الأخير لمكافحة الإرهاب، وتسعى من خلاله لتوفير أكبر حماية ممكنة للمستوطنين، بل الهدف منه حماية المستوطنات الإسرائيلية، وتيسير ضمها مستقبلًا إلى إسرائيل، وكنتيجة طبيعية لهذا الجدار ستتم عملية تطهير عرقي للفلسطينيين الذين يسكنون بين الجدار الفاصل وإسرائيل، حيث ستجبرهم ظروف الحياة إلى الانتقال إلى الجانب الفلسطيني للجدار، كما نقل رأي المحكمة الدولية في هذا الجدار حيث ترى فيه انتهاكًا صريحًا للقوانين الدولية، وأنَّه يجب إخضاع إسرائيل بالتوقف عن إنشائه، وإزالة ما تمَّ منه، ودفع التعويضات عن كافَّة الأضرار الناتجة عنه في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما أوصت الأمم المتحدة والجمعية العامة ومجلس الأمن بالنظر فيما يجب فعله لإنهاء الوضع غير القانوني الناتج عن إنشاء الجدار والنظام المرتبط به.

المحكمة العليا تسلك الدروب السفلى(٧٧)**:** أشار فينكلستين -تحت هذا العنوان- بسخرية إلى المديح الذي كاله دارشفيتز للمحكمة الإسرائيلية العليا، وأنها من أفضل المحاكم في العالم، وذلك في كتابه (ما الذي يجعل الإرهاب فعالًا؟)، إذ زعم فيه دارشفيتز أنَّه على الرغم من القيود الكبيرة على حقوق الفلسطينيين إلا أنَّهم يعلمون أنَّ المحكمة الإسرائيلية العليا تظل حصنًا مستقلًا للحرية، حتى عندما يسعى الجيش أو الحكومة إلى وضع قيود، وفي سياق دحض هذا الافتراء الصارخ يؤكد فينكلستين على تقارير سجلات منظمات حقوق الإنسان فيما يتعلق بالمحكمة الإسرائيلية العليا، إذ صرَّحت منظمة بتسليم بأنَّ ما يجعل الإساءات الإسرائيلية أمرًا فريدًا في العالم أجمع هي الجهود التي لا تلين لتبرير ما لا يمكن تبريره، في إشارةٍ إلى قيام المحكمة العليا بدور الأداة القضائية الرئيسية في تبرير ما لا يمكن تبريره من انتهاكات الحكومة والجيش الإسرائيلي، وإضفاء صفة الشرعية على ما يصدر عنهما، وتفسير القانون لصالح السلطات الإسرائيلية، وتفحَّص فينكلستين تحت عناوين فرعية ثانوية، كـ: تصويت بمنح الثقة، ونصٌّ يجب قراءته، وأداة للمقايضة، والمساواة، دعاوى دارشفيتز لإثبات أن المحكمة الإسرائيلية العليا تدافع عن حقوق الفلسطينيين، ثم قام كعادته بردِّها وفقًا لسجلات منظمات حقوق الإنسان التي أثبتت زيف هذه الادعاءات، وأدان تحت العنوان الفرعي (أمرٌ مخيفٌ) دارشفيتز في معاييره المزدوجة التي ظهرت عند الحكم على النظام الإسرائيلي القضائي في المناطق المختلفة، والحكم على نظام الولايات المتحدة المماثل، وذلك لكون دارشفيتز ندَّد بالقرار الذي صدر عن إدارة بوش في الولايات المتحدة بدعوى أنَّه يخلو من أيِّ شروطٍ لضمان المخالفة السريعة للشخص المحتجز، ويمنعه من استخدام محامٍ، ويحرمه من الحصول على الإنصاف من جراء

(٧٧) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، القسم الثاني، المحكمة العليا تسلك الدروب السفلى (ص:٢٩٩-٣١٥).

الاعتقال التعسفي، ويسمح بتمديد مدة سجن المعتقل دون حدٍّ، ودون أي إجراءاتٍ قانونية من أي نوع، وفي المقابل نجده يمتدح النظام الإسرائيلي الذي يحتوي بنودًا مشابهةً، ولذلك ختم فينكلستين هذه الجزئية بقوله: "يبدو أنَّ الأمر المخيف الذي يحذِّر ديرشويتس[٧٨] من حدوثه في الولايات المتحدة كان يُطبَّق منذ مدةٍ طويلةٍ في المناطق المحتلة"[٧٩].

الخاتمة[٨٠]**:** ختم فينكلستين كتابه بالإشارة إلى ما تقوم به منظمات حقوق الإنسان من جهود في مراقبة التصرفات الإسرائيلية عن قرب في المناطق المحتلة، وأكَّد على التوافق بين هذه السجلات في كثيرٍ من نتائج التقارير الصادرة عنها، مما يشير إلى أنَّ سجلَّ إسرائيل في مجال حقوق الإنسان الفلسطيني هو سجلٌ فريدٌ ومريعٌ، إذ درجت المحكمة الإسرائيلية العليا على تبرير جميع التصرفات المثيرة للخلاف التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية، وشرعنة انتهاكاتها المتكررة للقوانين الدولية، ويتساءل مستنكرًا عن سبب إصرار دارشفيتز على وصف سجل إسرائيل بأنَّه سجلٌّ ممتازٌ عمومًا، رغم كلِّ تلك الوثائق والسجلات، ثمَّ يعلِّق بأنَّ الهوَّة بين هذه التصريحين -تصريح السجلات وتصريح دارشفيتز- من السعة بحيث لا يمكن ردمها بحال، وعليه فثمة خياران لا ثالث لهما: فإمَّا أن تكون منظمات حقوق الإنسان والخبراء المستقلون فيها منهمكين في مؤامرةٍ لا ساميَّةٍ هائلةٍ لتشويه إسرائيل، أو أنَّ دارشفيتز يشوِّه السجل الحقيقي بصورةٍ فاضحةٍ، ويترك فينكلستين للقارئ الحصيف استنتاج الإجابة الصحيحة.

الملاحق[٨١]**:** أردف فينكلستين فصول الكتاب بثلاثة ملاحق عني **الملحق الأول** منها بإيراد صورٍ من صفحات كتابي (منذ قديم الزمان)، و(مرافعة لإسرائيل)، بهدف إثبات قيام دارشفيتز بالسرقة الأدبية من كتاب بيترز، دون الإحالة إلى كتابها الأصل، مع لفت الانتباه إلى إصرار دارشفيتز على عدم الاعتراف بهذه الخطيئة العلمية.
وعني **الملحق الثاني** بتحرير العديد من النقاط في تاريخ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، من خلال إيراد عدة موضوعات، ومقارنة ما ورد بشأنها في كتاب (مرافعة لإسرائيل) مع ما يثبته الدليل في الواقع، وذلك في إطار جدول لتوضيح هذه المقارنة، ومن المواضيع التي تناولتها المقارنة: جذور الصراع (١٨٨٠-١٩٤٧م)، والحرب العربية الإسرائيلية الأولى (١٩٤٧-١٩٤٩م) وآثارها، وحرب حزيران/يونيو ١٩٦٧م، وحرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣م، وإسرائيل وطهارة السلاح.

---

(٧٨) هكذا ورد الاسم في كتاب ما يفوق الوقاحة، وورد في مصادر أخرى (دراشفيتز)، ولعل المرجع في ذلك؛ اختلاف الترجمة من شخص لآخر، وكون الباحثة اختارت صيغة معينة من أول البحث؛ فهي تستخدمها مطلقًا، ولكن هنا فرضت طبيعة النص المنقول أن يتم النقل الحرفي كما هو في الأصل، وجرى التنبيه بناءً على ذلك، لئلا يُظن أنهما شخصان لا شخصٌ واحد.

(٧٩) فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:٣١٥).

(٨٠) ينظر: المرجع السابق، الخاتمة (ص:٣١٧-٣٢٣).

(٨١) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة، الملاحق (ص:٣٢٧-٣٨٧).

بينما عني **الملحق الثالث** بتحرير ما يتعلق بعملية السلام، ومقارنة ما ورد بشأنها في كتاب (مرافعة لإسرائيل) مع ما يثبته الدليل في الواقع، وذلك في إطار جدول لتوضيح هذه المقارنة، ومن المواضيع التي تناولتها المقارنة: خلفية الأحداث، وقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، والتسوية على أساس حل الدولتين، واتفاقيتي كامب ديفيد وطابا، وغير ذلك من المغالطات الشنيعة التي يتضمنها كتاب دارشفيتز، وتناولها فينكلستين بالرد والتفنيد والتمحيص، مما يضفي على هذه الملاحق قيمةً علميَّةً عظيمةً ربما يصحُّ بموجبها أن تكون مرجعًا موثوقًا للموضوعات التي تضمنتها.

المطلب الثاني: نقد أفكار الكتاب:

أولًا: أبرز الإيجابيات لكتاب (ما يفوق الوقاحة):

ثمَّة الكثير من الإيجابيَّات التي حواها الكتاب، والتي لا يتسع المقام لسردها، ولعلَّ في ذكر البعض غنيةٌ وإشارةٌ إلى الكلِّ، فمن أبرز تلك الإيجابيات ما يأتي:

١. كان الشعور بالامتعاض هو الانطباع الشخصي الأوَّلي عند قراءة عنوان الكتاب، لكن ما لبث هذا الشعور أن تبدَّد بمجرَّد قراءة محتويات الكتاب، بل انقلب إلى إحساسٍ بأنَّ الكاتب قد وفِّق في اختيار العنوان إلى درجةٍ كبيرةٍ، ولعلَّها تعدُّ أولى ميزات هذا الكتاب، ولا أخال أيَّ قارئٍ يختلف في دقَّة هذا الوصف، حينما يقف على مستوى المغالطات والتلبيسات والأضاليل التي تفتعلها وتدَّعيها تلك النخب اليهودية ومؤيديها -ومن ذلك ما يورده الكاتب باستمرار من ادعاءاتٍ أوردها دارشفيتز في كتابه (مرافعة لإسرائيل)- في سياق تبرير سياسات إسرائيل القمعية ضد شعب فلسطين، وغضِّ الطرف عن جرائمها وانتهاكاتها الشنيعة، إلى الوضع المخزي الذي يحاول فيه أن يقلب الموازين رأسًا على عقبٍ، فيصوِّر الجلاد ضحيَّة، ويجعل الضحيَّة أساس الجريمة، بأسلوبٍ مثيرٍ للاستفزاز إلى درجةٍ عاليةٍ، ومثيرةٍ للاندهاش من هول الصَّدمة بعظم الفرية، وعدم قدرة العقل على استيعابها، وإدراك كيفية حضورها في ذهن ملقيها[٨٢].

٢. يخرج أيُّ قارئٍ للكتاب بشعورٍ عميقٍ بالامتنان لمؤلف الكتاب؛ لما بذله من جهدٍ عظيمٍ بما تعنيه الكلمة من معنى في سبيل كشف حقيقة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وفضح الجرائم الإسرائيلية، وإبراز انتهاكاتها المتكررة لحقوق الشعب الفلسطيني، بما في ذلك إثبات مخالفتها وانتهاكاتها الصريحة للقوانين الدولية، فقد وضع الكاتب يده على جوانب عديدةٍ ومهمَّةٍ، وساق تصريحاتٍ خطيرةً بخصوص هذا الصراع، بحيث لو تمَّ تفعيلها إيجابيًّا عن طريق نشرها عبر وسائل التواصل والاتصال والإعلام في المجتمعات الغربية؛ لربما أحدثت هزَّةً عنيفةً بما تصحِّحه من مفاهيم مغلوطةٍ وسائدة في تلك الأوساط، حيث يذكر الكاتب أنَّ وسائل الإعلام في الغرب تستقي معلوماتها من مصادر الحكومة

(٨٢) تتجلَّى نماذج كثيرة لما يفوق الوقاحة -كما يصفها فينكلستين -في مواضع كثيرة في الكتاب من أبرزها ما ورد في الصفحات: (١١٩،١٠٣،٥١-١٨٤،١٢٠-١٨٥، ٢٥٤، ٢٨٧، ٢٩٩-٣٠٠، ٣٦٤).

الإسرائيلية وتتعاطف معها[٨٣]، ما يعني أنَّ الشعوب الغربية تعيش تحت وطأة التضليل والخداع؛ لذا ربما يكون من المفيد جدًّا السعي بكلِّ طريقةٍ ممكنةٍ لتوصيل تلك الحقائق إلى تلك المجتمعات، ومن ثمَّ الاستفادة منها في تصعيد ضغطٍ شعبيٍّ موجَّهٍ يهدف إلى التأثير على صُنَّاع القرار في تلك الدول، لغرض رفع الدعم عن إسرائيل، وفرض العقوبات عليها، ومنعها من ممارساتها الوحشية، ليس فقط لأجل إنصاف الشعب الفلسطيني أو الإسرائيلي، وتحقيق السلام لكليهما؛ وإنما حتى لسلامة تلك الدول، وعلى الخصوص الولايات المتحدة لأنها تتبنى الدفاع عن إسرائيل؛ مما يجعلها عرضةً للخطر بسبب ذلك.

٣. تعدُّ قراءة الكتاب ممتعةً شيِّقةً مؤلمةً مثيرةً، تجمع في داخل النفس مزيجًا من المشاعر المختلطة تجاه ما يجري على أرض فلسطين، فتارةً تستمطر الدمع أسفًا لمعاناة المسلمين هناك، وتارةً تستجلب الغيظ من هول البغي والعداون، وبينما تستثير العجب من دقَّة السجلات ونزاهتها، إذ تلفت الانتباه إلى الإنصاف والموضوعية من أجل إثبات الحقيقة، مما يعكس نجاح الكاتب في شدِّ القارئ لموضوعات كتابه من خلال مادته وطريقته في سرد الادِّعاءات والرد عليها.

٤. تظهر في الكتاب أدبيَّةٌ جميلةٌ ولطيفةٌ من أدبيَّات البحث العلمي، فعند إرادة الكاتب الحديث عن رأيه تجاه مسألةٍ معينةٍ أو عند قصد الإشارة إلى كتاب آخر ورد له فيه تعليقٌ حول موضوع ذي علاقة؛ فإنَّه لا يتحدَّث عن نفسه مباشرةً، وإنَّما يقول: وكاتب هذه السطور...، ولكاتب هذه السطور...[٨٤]، ولا يخفى ما في هذا السياق من تلطُّفٍ وتواضع يجمِّل صاحبه ويميِّز أسلوبه.

٥. يمتاز الكتاب بلغة علميَّة جيدة وسلسة إلى حدٍّ كبيرٍ، وتبدو أفضل حالًا من تلك التي في كتاب (صناعة الهولوكوست)، وربما كان لطبيعة الموضوع المطروح للبحث هنا وحيويته أثرٌ في ذلك، ولا أعلم إن كان للترجمة تأثيرٌ أيضًا؟ لكن بالعموم ورغم سعة حجم الكتاب حيث تبلغ عدد صفحاته ٤٨٥ صفحة تقريبًا، ورغم حشده بكمٍّ هائلٍ من الحقائق والمعلومات والمقارنات؛ إلَّا أنَّ القارئ يستمتع بما يقع عليه من شواهد وحقائق، ولا يكاد يشعر بالملل أثناء قراءته.

٦. تميز الكتاب بحسن التقسيم لأبوابه وفصوله، وتوزيع عناصره، فلم يكتف فيه بالتقسيمات الأساسية -كما هو الحال في صناعة الهولوكوست -وإنَّما قسَّم الكتاب إلى قسمين أساسيين، وجعل تحت كلِّ قسمٍ فصولًا متعدِّدةً، وتحت بعض الفصول عناوين فرعيةٍ ثانويةٍ، مما ساعد على تنظيم عناصر الكتاب، وترتيب أفكاره.

٧. وردت في الكتاب إشارةٌ في أكثر من موضع إلى استنكار وقوع فلسطين ضحية تدفع ثمن الجرائم التي ارتكبها الأوروبيون في حقِّ اليهود، ومن ثمَّ بأيِّ حقٍّ تملكه بريطانيا يبيح لها منح هؤلاء اليهود وطنًا قوميًّا لهم مقابل اغتصاب شعبٍ بريءٍ حقَّه المشروع في

---

(٨٣) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:٤٠-٤١)

(٨٤) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:٣٢٢،١٦٣) وغيرها.

أرضه[٨٥]! ورغم أنَّ المواضع كلَّها منقولة عن آخرين، بمعنى أنَّها ليست من عبارات فينكلستين نفسه، لكن السياق لا يخلو من الإشارة إلى موافقته لها، وعليه فقد وجدت في هذه الإشارات إجابةً عن تساؤلٍ أوردته عند قراءة كتاب الهولوكوست، إذ لفت نظري عدم ذكره لهذا الأمر هناك.

وبصرف النظر عن كوني قد لا أوافق د. فينكلستين فيما يميل إليه كحلٍّ للصراع الإسرائيلي الفلسطيني على أساس حلِّ الدولتين، وإن كنت أقدِّر وجهة نظره في الوقت نفسه -باعتباره مواطنًا أمريكيًا ليبراليًا- وربَّما أعزو وجهة نظره أيضًا إلى أنَّه ربما يعتبر هذا الحلَّ هو الحلُّ العمليُّ من حيث التطبيق، والواقعي من الناحية السياسية -في حال وافقت إسرائيل على تطبيقه على أرض الواقع، مع أنَّ الحقيقة خلاف ذلك- ويستند في رأيه إلى موافقة قرار الأمم المتحدة الذي وافقت عليه ١٦٩ دولةً من ضمنها الدول العربية، إلَّا أني أؤمن إيمانًا جازمًا بأنَّ العدالة الكاملة والإنصاف التام لن يتحققا إلا بإعادة فلسطين كاملةً لسيادة أهلها إسلاميةً خالصةً، ليس لليهود حقٌّ في السيادة ولا على شبرٍ من أراضيها، فإذا تحرَّرت فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي؛ فعندئذٍ يكون الحقُّ قد أعيد إلى نصابه، ولنبشر بسلامٍ لكلِّ من يريد العيش بأمانٍ في ظلِّ عدالة الإسلام، أمَّا ما يستشهد به د. فينكلستين من موافقة حكومة فلسطين وكذلك الحكومات العربية على إقرار هذا الحلِّ فلا أظنه يعدو كونه خيارًا اضطراريًّا لا بديل له في الواقع العملي، وهو من باب القبول بأخفِّ الضررين مع واقع الأمَّة المهين، وضعفها المشين، ورغم ذلك؛ فإنَّ الأمة الإسلامية وإن كانت تبدو مريضةً؛ إلا أنَّها لا تموت، وما زالت تنتظر من أبنائها قائدًا كصلاح الدِّين ينفض عنها غبار الذلِّ، وينشر روح الإسلام وسماحته وعدله.

٨. يُظهر الكتاب مستوًى عالٍ من المسؤولية تجاه الصَّدح بالحقيقة لدى الكاتب، وهي قضيةٌ أخذ الكاتب على عاتقه تبنِّيها والدفاع عنها في جوانب كثيرةٍ، لا سيما فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ولم تثنه العوائق عن ذلك، فقد تسببت محاجَّته لدارشفيتز في أطروحته (مرافعة لإسرائيل)، بعد سعي الأخير إلى الضغط على جامعة دي بول لإنهاء خدماته فيها، علاوةً على تعرُّضه لأقذع الأوصاف التي أطلقت عليه من قِبل اليهود المتعاطفين مع إسرائيل، ومع ذلك فإنَّه يقف شامخًا ويقول في كتابه بعد تعريضه لدارشفيتز بأنَّه انتهازيٌّ يحتفظ بإصبعه مرفوعةً في الهواء لمعرفة اتجاه هبوب الريح، إلَّا أنَّ الأمر "بالنسبة لأولئك الذين يستخدمون بوصلةً أخلاقيَّةً من أجل اتخاذ مواقعهم في السياسة فربَّما تكون المخاطر أعظم، ولكن الإحساس بالمسرَّة عظيمٌ أيضًا في معرفة إنَّنا إن لم نتمكَّن من الأخذ بيد البشرية خطوةً واحدةً نحو عالمٍ أكثر عدالةٍ فسنكون على الأقل قد قاومنا أولئك الذين يسعون إلى جرِّها إلى نقطةٍ أعمق في الهاوية"[٨٦].

٩. ورد في الكتاب تحليلٌ رصينٌ لادِّعاء الفرادة لليهود، واستغلال النخب اليهوديَّة

---

(٨٥) ينظر: المرجع السابق (ص: ٢٣،٦٠-٣٥٨،٦١).

(٨٦) فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:٨٩).

الأمريكية للاسامية الجديدة، وتهويلها إلى الحدِّ الذي لا يشكُّ عاقلٌ في أنَّها باتت مصوَّرةً لتبدو كمرضٍ مستعصٍ، لا يُعرف له دواءٌ، وفي محاولةٍ مستمرةٍ لوصفها بأنَّها تجمع بصفةٍ فريدةٍ جميع أشكال التعصُّب الأخرى، ما يعني أنَّ كلَّ شيءٍ متعلقٌ باليهود هو فريدٌ بالضرورة، والهدف من التركيز على فرادة اليهود -من وجهة نظر فينكلستين- هو أنَّ هذا التفرُّد "مذهبٌ فكريٌّ فارغٌ يؤدِّي وظيفةً عقديَّةً مفيدةً إذ أنَّه يسمح لإسرائيل بإعفاء أخلاقيٍّ فريدٍ، فإذا كانت معاناة اليهود فريدةً؛ فلا يجب إذًا إلزام إسرائيل بالمعايير الأخلاقية الطبعيَّة"[٨٧]، وعليه فكلُّ ما تنتهجه وتمارسه من قمعٍ ووحشيةٍ وعدوانٍ فهو مبرَّرٌ تحت غطاء هذه الفرادة.

١٠. يسعى الكاتب جاهدًا للتمييز بين اللاسامية الحقيقية (الاستهداف غير المبرر لليهود؛ لأنَّهم يهود فقط)، واللاسامية المفتعلة (استغلال اللاسامية من قبل النخب اليهودية الأمريكية وغيرهم) -كما سعى من قبل للتمييز بين الهولوكوست الحقيقية، والهولوكوست الصناعة- وذلك في سبيل الوصول إلى تحقيق العدالة والسلام، ويقترح لإنهاء السخط الحالي على اليهود من جراء القمع الإسرائيلي الوحشي للفلسطينيين إنهاء الاحتلال، والانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع مناطق ١٩٦٧م، مشيرًا إلى أنَّه كلَّما زادت حدَّة اعتراض اليهود على إسرائيل؛ كلَّما قلَّ عدد الذين يخلطون بين السياسات الإسرائيلية الإجراميَّة والدعم غير المحدود الذي تقدِّمه المنظمات اليهودية من التيار العام وبين المزاج اليهودي العام، كما يرى أنَّ من أسوأ الأعداء في الكفاح ضدَّ اللاسامية الحقيقية هو الحب المبالغ فيه للسامية، فمن خلال تغاضي أوروبا عن جرائم إسرائيل باسم الحساسية نحو المعاناة اليهودية السابقة؛ وتركهم الحبل على الغارب لإسرائيل في ممارسة جرائمها الداعمة للاسامية، كان التدمير الذاتي للإسرائيليين، ويتطابق الحال مع النخب اليهودية الأمريكية، فالحب المبالغ فيه للسامية مع تطبيق إعفاءٍ خاصٍّ بهذه النخب كان له أثرٌ تدميريٌّ مشابهٌ، وبهذا فإنَّ إسرائيل وهذه النخب يعدَّان أكبر مصادر إثارة اللاسامية في العالم، ما يتوجب معه إيقافهم عند حدِّهم، لضمان سلامة اليهود[٨٨].

١١. تميَّز الكتاب بعقدٍ جميلٍ للمقارنات في مواضع كثيرةٍ في سياق إدانة أصحاب الدعاوى بمنطق ادِّعاءاتهم، أو في سياق إدانة إسرائيل أو الولايات المتحدة بسياستيهما، ومن أجل إبراز الازدواجية في المعايير لدى هؤلاء، وسياسة الكيل بمكيالين، وقد تأتي المقارنة تفصيليَّةً نوعًا ما، كما تأتي أحيانًا تهكُّميَّة لاذعةً[٨٩].

١٢. تحوي الملاحق وعلى الأخص الثاني والثالث على حقائق مهمة، ومعلومات موثَّقة، فيما يخص جوانب متعدِّدة من جوانب الصراع الإسرائيلي الفلسطيني -تمت الإشارة إليها عند عرض محتويات الكتاب -وتنقل مواطن التزييف الواقعة عليها تحديدًا من

---

(٨٧) المرجع السابق (ص:١٣٩-١٤٠).

(٨٨) ينظر: فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:١٦٣).

(٨٩) ينظر: المرجع السابق (ص:١٢٢،١١٠-١١٦،١٢٣-١٢٢،١١٧-١٣٤،١٢٣-١٣٥، ١٥٧-١٥٩، وغير ذلك).

كتاب دارشفيتز (مرافعة لإسرائيل)، كما تسوق الحقيقة الثابتة من الواقع في مقابل ذلك، ممَّا يكسبها أهميَّةً خاصَّةً، ويمنحها قيمةً علميَّةً فائقةً.

ثانيًا: أبرز السلبيَّات لكتاب (ما يفوق الوقاحة):

١. من المآخذ على الكتاب تأخير الهوامش إلى آخر الكتاب في صفحات مستقلة، ممَّا يفوِّت الكثير من المعلومات المهمة والمفيدة على القارئ أثناء القراءة، ويرهق القارئ في الرجوع إلى هذه الهوامش عند الحاجة إليها، لا سيما وأنَّ الهوامش لا تقتصر على توثيق المعلومات إلى مراجعها فحسب، بل كثيرًا ما يعمد الكاتب إلى التعليق على بعض النقاط أو شرحها أو الإضافة عليها.

٢. ربما يعدُّ حجم الكتاب مأخذًا من المآخذ عليه؛ إذ تؤدي سعة حجمه إلى تشتيت ذهن القارئ مع تشعُّب الموضوعات وتعدُّدها، كما تعوق الاستيعاب التام لعناصره، وكثرة المعلومات الواردة، تجعل الكلام ينسي بعضه بعضًا، فلو تمَّ اختصاره وتقليص حجمه لربما كان أفضل.

٣. يؤخذ على الكاتب استخدامه بعض المصطلحات غير المألوفة، وبعض العبارات التي ربما هي معروفة في نطاق المجتمعات الغربية، لكنها غريبة على المجتمع العربي، ولا يسوق لها شرحًا في الهامش، أو يسوق شرحًا لكنه غير وافٍ؛ ممَّا يضفي على بعض المواضع نوعًا من الغموض الذي يحتاج إلى بحثٍ لإزالته، ومن أمثلة ذلك: وصفه للتصور السائد عن أصل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من خلال تشبيهه برواية (الخروج)[٩٠]، وهي رواية ربما تكون معروفة في الأوساط الغربية، ويُفهم مغزاه ومن الأمثلة على المصطلحات التي تحتاج إلى شرح أيضًا ولم يتم توضيح معناها أو المراد بها: اليهودي بين الأمم (ص:١٠٨)[٩١]، اللاسامية الكلاسيكية (ص:١٠٨)[٩٢]، الديماغوجيين (ص:٣٢١)[٩٣]، وغير ذلك.

٤. ساق د. فينكلستين جملة من العبارات الجميلة في محتواها، والتي تنم عن درجة

---

(٩٠) سعت الباحثة للحصول على نسخة مترجمة للرواية؛ لورودها في أكثر من موضع؛ لكن لم يتوفر لها شيئًا من ذلك، ووجدت ما يشير إلى مضمون الرواية العام وأن موضوعها تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، وتاريخ فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر، كما يرى اليهود أحداثه خصوصًا من يتبنى منهم الصهيونية، ينظر: حيدر، رواية الخروج، صحيفة الوطن، على الرابط: http://cutt.us/xGpd٦.

(٩١) اليهودي بين الأمم: يقصد بهذا المصطلح الإشارة إلى النوع الجديد من اللاسامية، والذي يستند إلى التمييز ضدَّ اليهود كشعب من خلال انتمائه لدولة إسرائيل، وهو ما يفهم من خلال السياق.

(٩٢) اللاسامية الكلاسيكية: يقصد بها معاداة اليهود بسبب دينهم، أو بسبب التحيز العنصري ضدَّهم، ينظر: نيرشتاين، اللاسامية الكلاسيكية لم تعد تشكِّل التهديد الرئيسي، منتدى مكافحة السامية (CFCA)، على الرابط: http://cutt.us/WiJn.

(٩٣) الديماغوجي: هو الشخص الذي يسعى لاجتذاب الناس إلى صفِّه عن طريق الوعود الكاذبة والتملق، وتشويه الحقائق، ويؤكد كلامه مستندًا إلى شتى فنون الكلام وضروبه، لكنه لا يلجأ إلى البرهان؛ لأن من شأن البرهان أن يبعث على التفكير، وأن يوقظ الحذر، ويعتمد الكلام الديماغوجي على جهل سامعيه وسذاجتهم واللعب على عواطفهم، ينظر: ديماغوجيا، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط: http://cutt.us/KYPB .

جيدة من الإنصاف تجاه أهل فلسطين، ومن أمثلة ذلك: "حافظ المجتمع الدولي على إجماع حول طريقة حل صراع إسرائيل -فلسطين: تسوية على أساس قيام دولتين استنادًا إلى انسحابٍ إسرائيليٍّ كاملٍ من الضفة الغربية وغزة، وإقرارٍ كاملٍ لإسرائيل ضمن حدود ما قبل عام ١٩٦٧م"[٩٤]، "صرحت المحكمة مرارًا هي مناطق فلسطينية محتلة، ولا يحق لإسرائيل ادِّعاء أي مقدار من السيادة عليها، وجميع هذه المناطق محدَّدة من أجل أن يمارس الفلسطينيون عليها حق تقرير المصير"[٩٥]، "عدَّت الضَّم الإسرائيلي للقدس الشرقية غير شرعيٍّ وملغًى وباطلًا"[٩٦]، "فإنَّ المستوطنات الإسرائيلية ليس لها أي شرعيةٍ قانونيةٍ، وتشكِّل انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي"[٩٧]، "قامت منظمات حقوق الإنسان بمناشدة إسرائيل للإقرار بحقِّ العودة لهؤلاء الفلسطينيين وذرياتهم ممن فرُّوا من المنطقة الواقعة الآن ضمن إسرائيل، وحافظوا على روابط مناسبة مع تلك المنطقة"[٩٨]، "فسيظل مما يثير التساؤل امتناع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي عن إخضاع إسرائيل للتوبيخ، ناهيك عن المقاطعة الاقتصادية المدمرة"[٩٩]، "وأخيرًا ففي حين يجري تدمير اقتصاد الشعب الفلسطيني بسبب بعض تصريحات حماس التي تدعو إلى تدمير إسرائيل، أطلقت يد إسرائيل لتقطيع أوصال الدولة الفلسطينية المأمولة، وليس بالكلمات بل بالأفعال"[١٠٠]، "فإنَّ من النفاق الخالص الطلب من حماس إيقاف الهجمات العنيفة دون طلب أمرٍ مشابهٍ من إسرائيل بإيقاف ما هو محظور بصفةٍ متساويةٍ"[١٠١]، لا يخفى ما تتضمنه العبارات السابقة من إنصافٍ وعدالةٍ تجاه أهل فلسطين، وهذا لا يغضي من مكانتها، ولا يُنقص من قدرها، إلاَّ أنَّ الواقع يشهد أنَّ لإسرائيل حصانةً دوليَّةً ترفع عنها المسؤوليَّة، وتعفيها من المحاسبة، ولا يخفى تكرار استخدام الولايات المتحدة حق الفيتو[١٠٢] من أجل إعفاء إسرائيل من المحاسبة، فبمنطلق مشاعر الشعب الفلسطيني المظلوم ما جدوى هذه العبارات الرنانة، والتصريحات الجريئة إذا بقيت قيد الأوراق ولم

([٩٤]) فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:١٩).

([٩٥]) المرجع السابق (ص:٤٤).

([٩٦]) المرجع السابق (ص:٤٤).

([٩٧]) المرجع السابق (ص:٤٤).

([٩٨]) المرجع السابق (ص:٤٥).

([٩٩]) المرجع السابق (ص:٤٧).

([١٠٠]) المرجع السابق (ص:٤٧).

([١٠١]) المرجع السابق (ص:٤٣).

([١٠٢]) الفيتو: هو حق يهدف لحماية حقوق الأقليات في الديموقراطيات الطائفية، وهو حق أيضًا الاعتراض والنقض الذي يثير خطر طغيان هذه الأقليات، ينظر: عبد الكافي، معجم مصطلحات العولمة (ص:٣٤٨)، وفي حقيقته حقٌّ يمنح للدول الأعضاء الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن للاعتراض على أيِّ قرارٍ يقدَّم لمجلس الأمن دون إبداء أسباب؛ ليتم رفض هذا القرار، وهذه الدول هي: روسيا، الصين، المملكة المتحدة، فرنسا، الولاياتُ المتحدة، ويتناقض هذا النظام مع القواعد الأساسية التي تشترطها النظم الديمقراطية، ينظر: حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، موسوعة ويكيبيديا، على الرابط: http://cutt.us/NNd١W.

تخرج إلى حيِّز التنفيذ؟ وما الفائدة منها مالم يتم إخضاع إسرائيل لتطبيقها، وفرضها بقوة القانون على أرض الواقع؟ مع ما هو مشهودٌ بأنَّ من أمن العقوبة أساء الأدب؟ وإلى متى سيظل الشعب الفلسطيني يطالب بالحلول السياسيَّة فقط كما يرى د.فينكلستين، ولا يُسمح له باستخدام غيرها من وسائل القوة المشروعة من أجل الدفاع عن نفسه، واستيفاء حقوقه؟

٥. نقل د. فينكلستين عن منظمة بتسليم في ورقة بيانٍ موقف أصدرتها عام ٢٠٠١م في سياق الحديث عن تبني إسرائيل لسياسة الاغتيالات للنشطاء الفلسطينيين والمشتبه بهم، أنَّ "إسرائيل هي الدولة الديموقراطية الوحيدة التي تعدُّ إجراءات كهذه أعمالًا شرعيَّة"[١٠٣]، وأتساءل أيُّ وجهٍ من أوجه الديموقراطيَّة تطبِّقه إسرائيل؛ حتى يتم اعتبارها دولةً ديموقراطية؟ أين الديموقراطية التي تدعيها إسرائيل في حين أنَّ الواقع يشهد أنَّها تمارس الاستبداد والديكتاتوريَّة في أبشع صورها على الشعب الفلسطيني المقهور، أين موقع هذه الديموقراطيَّة عندما اختار الشعب الفلسطيني قيادة حماس ممثِّلًا لحكومته، فإذا به يفاجأ بفرض العقوبات تلو العقوبات، والحصار تلو الحصار؟ أبعد الانتهاكات الصريحة للقوانين الدولية والأعراف الإنسانية تتشدَّق إسرائيل بأنَّها دولةً ديمواقراطية!

٦. أورد د. فينكلستين في حديثه عن تدمير إسرائيل لبيوت وممتلكات الفلسطينيين عبارة: "فقد تمَّ تدمير ١٤٠٠ منزل (أو إغلاقها)، في أثناء أوَّل عقدين من الاحتلال الإسرائيلي (١٩٦٧-١٩٨٧)، في حين تمَّ تدمير ٧٠٠ منزل (أو إغلاقها)، خلال الانتفاضة الأولى (١٩٨٨-١٩٩٢) كوسيلة للعقاب"[١٠٤]، وبما أني اعتدت الدقَّة في استخدام الألفاظ من قِبل د. فينكلستين فأتساءل أيضًا حول التعبير الدقيق الذي يدخل في وصف الفترة السابقة للتاريخ المذكور، وتحديدًا منذ عام ١٩٤٨م -بغض النظر عن فترة الانتداب البريطاني ووعد بلفور عام ١٩١٧م- فهل يعتبره د. فينكلستين ضمن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين؟ أم بماذا يصفه؟

ولعلَّ ما تشهده الأمة الإسلامية عمومًا، والعالم العربي خصوصًا من قلاقل وحروبٍ وفتن كان للشيعة الإمامية في إيران دورٌ كبيرٌ في إشعال فتيلها، والمشاركة فيها، ضمن أطماعها التوسعية في المنطقة، وما شهده العالم من إعلان الولايات المتحدة عقد علاقة الودِّ معها، مع دخول الاتفاق النووي حيز التنفيذ، وبداية تطبيق رفع العقوبات عنها، وتصريحات الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله[١٠٥] الأخيرة دليلٌ صارخٌ على أنَّ الشيعة لم يكونوا يومًا على عداءٍ مع اليهود والنصارى، بل ثبت على مدار التاريخ أنَّهم كانوا دومًا قنطرةً يتوصَّل الأعداء من خلالها إلى المنافذ في بلاد المسلمين.

---

(١٠٣) فينكلستين، ما يفوق الوقاحة (ص:٢١٨).

(١٠٤) المرجع السابق (ص:٢٥٧-٢٥٨).

(١٠٥) ينظر: كلمة الأمين العام لحزب الله حول آخر التطورات في لبنان والمنطقة، على الرابط:http://cutt.us/q4NH ، وكلمة الأمين العام لحزب الله حول التصعيد السعودي والتطورات، على الرابط: http://cutt.us/B٣MOQ .

المبحث الرابع: قراءة تحليلية نقدية لكتاب: (التمادي في المعرفة):

المطلب الأول: عرض لأهمِّ محتويات الكتاب:

قسَّم فينكلستين هذا الكتاب إلى مقدِّمة، وأربعة أجزاء بفصولها، وخاتمة وملحق،كالآتي:

المقدمة[١٠٦]**:** ابتدأ فينكلستين مقدمة الكتاب بالإشارة إلى نتائج الاستطلاعات الحديثة، والتي تشير إلى ابتعاد اليهود الأمريكيين عن إسرائيل، كما نوَّه بذكر العوامل المؤثرة في هذه العلاقة وهي: (العرقية- المواطنة- العقيدة)، فيرى أنَّها تشكِّل في مجموعها تضاريس علاقة اليهود الأمريكيين بإسرائيل، وأشار إلى أنَّه - بحسب استطلاع جاي ستريت ٢٠٠٩م- حول العامل الأكبر وراء دعم إسرائيل دارت النتائج حول ثلاث أنواع من الإجابات، أحدها: الانتماء العرقي "أنا يهودي، وإسرائيل هي وطني"، والثاني: الولاء للدولة "إسرائيل هي حليفة أمريكا في الشرق الأوسط، وهي تقوِّي مصالحنا الأمنية القومية"، والثالث: التعاطف العقائدي "إسرائيل دولة ديموقراطية تتبنَّى القيم التي أؤمن بها".

ويشير إلى أنَّ الرابطة الأساس التي ترتكز عليها هذه العلاقة هي (صلة القربى)، بمعنى تعلُّق جماعةٍ عرقيةٍ بدولتها العرقية، مؤكِّدًا أنَّ الدعم اليهودي الأمريكي لإسرائيل رغم أنَّه لم يكن سيقدَّم في غياب هذا الرابط العرقي، إلَّا أنَّه لا يتم أيضًا بصورةٍ آليةٍ من هذه العلاقة فحسب، بدليل تقلُّب علاقة اليهود الأمريكيين مع إسرائيل، وتجاهلهم لها قبل حرب ١٩٦٧م، عندما لم تكن تعني شيئًا مهمًّا للولايات المتحدة، ممَّا يشير إلى أنَّ إخلاص اليهود الأمريكيين وانتهازهم للسلطة، وحرصهم على مصالحهم المادية وحقوقهم المكتسبة هو الموجِّه الأكبر لدعمهم لإسرائيل، وهو ما يفسِّر التعاطف الكبير والدعم المعلن لإسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧م، تزامنًا مع تحوُّل إسرائيل إلى رأسمال أمريكي استراتيجي.

كما يرى أنَّ حدود علاقة اليهود الأمريكيين بإسرائيل تشكَّلت بسبب العقيدة الليبرالية[١٠٧]، حيث كان الاتجاه السائد بدايةً اعتبار إسرائيل وليدة تجربة بناء الدولة الديموقراطية، لكن تبيَّن مع مرور الزمن صعوبة المزاوجة ما بين الدعم لإسرائيل وبين القيم التحرريَّة الليبرالية، وهو ما سبَّب الحرج لليهود الأمريكيين الليبراليين تجاه ما تقوم به إسرائيل، وأثَّر سلبًا على علاقتهم بها، وأشار في سياق ذلك إلى نتائج بعض الدراسات الحديثة التي تلمح إلى الانقطاع الوشيك للدعم الذي يقدِّمه اليهود المتحرِّرون لإسرائيل، تزامنًا مع بعض الأحداث، مثل: الصعود السياسي للأحزاب اليمينية المتطرفة للسلطة، اجتياح لبنان عام

---

(١٠٦) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، المقدمة (ص:١٣-٢٢).

(١٠٧) الليبرالية: مذهب رأسمالي يدعو إلى الحرية الاقتصادية والسياسية المطلقة، ويعتمد لتحقيق أهدافه على الفلسفة النفعية والعقلانية، ويقوم على أساس التعددية الحزبية والفكرية، وفصل الدين عن الدولة، ينظر: الجهني، الموسوعة الميسرة (١١٣٥/٢).

١٩٨٢م، قمع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، تعويق عملية السلام، وكلَّها أحداثٌ أدَّت إلى انقسامات في المجتمع اليهودي الأمريكي، وأبعدت الرأي العام الليبرالي عن إسرائيل. ويرى أنَّ الدعم والتعاطف اللامحدودين لإسرائيل لم يعودا كالسابق، وأنَّه برغم الدعايات المضللة والأكاذيب المروجة واستغلال الهولوكوست واللاسامية؛ إلَّا أنَّ الوقائع والشواهد تدعم ابتعاد اليهود الأمريكيين عن إسرائيل، وبرود عاطفتهم تجاهها، وتقليل دعمهم لها، ويضيف بأنَّه لا يشكِّك -في حال تعرُّض إسرائيل للخطر الحقيقي- من مساندة اليهود الأمريكيين لها، ودفاعهم عنها بدافع رابطة الدم الفطرية، بيد أنَّ المحصلة السياسية للواقع الراهن تشير إلى أنَّ كسب اليهود الأمريكيين يحتاج إلى الموازنة بين بنود الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وبين القيم الليبرالية، وهو ما يجعله يحمل على عاتقه جانبًا من المسؤولية من خلال محاولته إثبات أنَّ تعنُّت إسرائيل وإعاقتها لعملية السلام، وإنكارها لحقوق الشعب الفلسطيني، ولجوئها إلى الوحشية والإجرام هو ما سيدفع بإسرائيل نحو الدمار، وأنَّ القرارات الدولية ممكنةٌ وقابلةٌ للتنفيذ، وهي في متناول اليد منذ عقود، بيد إنَّ إسرائيل هي من منعت تنفيذ ذلك، مستفيدةً من الدعم الأمريكي الصادر عن الدعم اللوبي الإسرائيلي، كما أشار إلى بذله المحاولات للبرهنة لليهود الأمريكيين أنَّ المطلوب منهم فقط الثبات على المبادئ الليبرالية فيما يتعلق بشعب فلسطين، معتقدًا أنَّه لو نجح في البرهنة بأنَّ قيم العدالة والحقيقة تقف إلى جانب منتقدي سياسة إسرائيل فسيكون قد ضرب على وترٍ حسَّاسٍ لدى اليهود الأمريكيين ربمَّا يدفعهم إلى التحرُّك.

الجزء الأول: قلقٌ ليبرالي: وفيه فصلان: الفصل الأول: أحبوني فأنا ليبرالي[١٠٨]**:** يؤكِّد فينكلستين في هذه الجزئية على تبنِّي اليهود الأمريكيين لليبرالية، وهو ما يفسِّر تصويتهم للحزب الديموقراطي باستمرار، فمع كون اليهود كانوا يشكِّلون مجتمعًا من المهاجرين الفقراء، ووجدوا في التصويت للحزب الديموقراطي ما بشَّرهم بغدٍ أفضلٍ، ومستقبلٍ واعدٍ؛ وبالرغم من تسلُّقهم الدرجات العالية من السلم الاجتماعي، وزيادة نفوذهم ومراكزهم المهنية، وكون المكان الطبيعي لهم حاليًا بين الجمهوريين الأثرياء؛ إلَّا أنَّهم استمروا في دعم الحزب الديموقراطي، والقول السائد في سبب ذلك هو أنَّ الليبرالية اليهودية أشبه ما تكون بتراثٍ يتوارثه اليهود جيلًا بعد جيلٍ منذ حلمهم بتنظيماتٍ يساريَّةٍ تدعم بقاء العدل والمساواة، إضافةً إلى كون اليهود مهما ازدادوا ثراءً واندماجًا في المجتمع إلَّا أنَّهم يعتقدون استمرار بقائهم أقليَّة ملاحقة، مما يطبعهم بعدم الأمان، وهم إلى جانب ذلك يحتفظون بروابط مع هويتهم الجماعية التي لا يظهرون استعدادًا للتخلي عنها، وأخيرًا فإنَّهم لا يزالون يعتنقون القيم التحرُّرية التي تتبنَّى حقوق الأقليات المضطهدة، ويتمسَّكون بحزبٍ سياسيٍ مكَّنهم من الازدهار والحفاظ على سمات هويتهم التاريخية؛ لذا ففي حال تمَّ

(١٠٨) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الجزء الأول: الفصل الأول: أحبوني فأنا ليبرالي (ص:٢٥-٤٨).

تخييرهم فلن يتردَّدوا في اختيار العقيدة الليبرالية اليسارية التي يؤمنون بها من جهةٍ، والحزب الديموقراطي الذي يحقِّق مصالحهم من جهةٍ أخرى.
ويسعى في كتابه إلى إثبات أنَّ إسرائيل اليوم لم تتصرَّف بشكلٍ أسوأ مما كانت تفعله من قبل؛ لكن الواقع أنَّها بدأت مؤخرًا بإظهار صورتها الحقيقية، فتشير نتائج الاستطلاعات إلى أنَّها لم تعد من الدول التي يسود فيها أكبر قدر من العدالة بين دول العالم فيما يتعلق بتوزيع الدخل، وأنَّها مع تزايد الثغرة في هذا الجانب؛ زادت الحياة السياسية فيها فسادًا، وأنَّه في حين إعطاء المجتمع الإسرائيلي حريةً مطلقةً للرأسمالية غير المقيدة؛ ينزلق الساسة الإسرائيليون في مستنقعات الفساد والميول اليمينية الاستبدادية، وهما طرفي نقيض، الأمر الذي يحرج اليهود الأمريكيين، وتدلُّ عليه نتائج العديد من الاستطلاعات التي تؤكِّد تعزيز ظاهرة عدم التسامح الاجتماعي ومناقضة القيم الليبرالية المتزامنة مع صعود قوى الجناح اليميني في إسرائيل، والتي وصلت إلى أعلى مستوى لها من البشاعة في ميدان العلاقات بين الأعراق، وكشفت عن استعداد اليهود لحجب حقوق العرب، كما أظهرت العديد من التصريحات والقوانين والمبادرات العنصرية التي تهدِّد حرية التعبير، وحرية النشاط السياسي للأقلية العربية، وحقَّها في اللغة والثقافة، إلى جانب غياب أهمِّ الحقوق الأساسية للأقلية العربية كالمساواة في التعليم والتوظيف والحصول على الجنسية، مما يؤكِّد على الاتجاه الحاد والصريح نحو اليمين الذي يشهده المجتمع الإسرائيلي، وبالتالي عدم تماثله مع البيئة اليهودية الأمريكية الليبرالية بشكلٍ كبيرٍ قد يصل إلى النقيض تمامًا.
وفي سياق محاولته إثبات أنَّ سياسة إسرائيل هي نفسها منذ القدم استدلَّ على استخدامها سياسة التطهير العرقي منذ عام ١٩٤٨م، بتصريح المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس بأنَّ التطهير العرقي كان حتميًّا، ومن صلب الصهيونية، كما استدلَّ على ارتكاب الجيل المؤسس عددًا لا يحصى من الأعمال الوحشية ضدَّ النازحين الفلسطينيين، وتجريد من رَفَض الهجرة من حقوقهم الأساسية وأراضيهم وممتلكاتهم بطريقةٍ منهجيَّةٍ، ووضعهم تحت الحكم العسكري، فضلًا عن تعذيب المحتجزين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

الفصل الثاني: اختلافات غير قابلة للتسوية[١٠٩]**:** يشير فينكلستين في هذه الجزئية إلى محاولة إسرائيل منذ وقتٍ طويلٍ إشهار سيفي (الهولوكوست) و(اللاسامية)، للتبرير بأنَّه لا يمكن تقييد اليهود بالمعايير الأخلاقية القانونية التقليدية بعد المعاناة الفريدة التي تحملوها خلال الحرب العالمية الثانية، وإثبات أنَّ كراهية اليهود فقط هي السبب وراء انتقاد سياسة إسرائيل؛ بيد أنَّه يضيف بأنَّ هذين السيفين لم يعودا مخيفين الآن؛ فما إن دخل انتقاد إسرائيل إلى مجال الرأي العام السائد حتى أصبحت تهمة اللاسامية أقل مصداقية، كما فقد الاستخدام الانتقائي لسلاح الهولوكوست فعاليته، وعليه فإنَّ تناقص قدرة إسرائيل على

(١٠٩) ينظر: المرجع السابق، الجزء الأول: الفصل الثاني: اختلافات غير قابلة للتسوية (ص:٤٩-٧٠).

حماية نفسها من النقد الثابت أدَّى إلى تدهور موقفها الدولي، كما أدَّى ابتعاد اليهود الأمريكيين عنها دورًا بارزًا في ذلك.
وساق فينكلستين نتائج مجموعة من الاستطلاعات التي تثبت أفول شعبية إسرائيل، وغروب نجمها، من خلال تزايد النظرة السلبية إليها، واعتبارها من أكبر مهدِّدات السلام العالمي، والعائق الوحيد أمام تحقيق السلام في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، واعتقاد اضطهادها للشعب الفلسطيني، وأنَّها تشن ضدَّهم حرب إبادةٍ، كما أشار إلى خسارة إسرائيل جزءًا من شعبيتها بعدوانها على أسطول الحرية عام ٢٠١٠م، الذي كان متجهًا نحو غزة بهدف تقديم المساعدات الإنسانية وخرق الحصار؛ مما دفع الكنيسة الميثودية إلى دعم مقاطعة السلع الإسرائيلية الآتية من المستوطنات الإسرائيلية، بل يرى أنَّ هذا الموقف تجاه إسرائيل لم يتوقَّف - حسب نتائج الاستطلاعات- على الرأي الغربي العام؛ وإنَّما امتدَّ في أوساط يهود الشتات أيضًا، وبالنسبة لتأييد الأمريكيين لإسرائيل فيرى أنَّه برغم كون الشائع أنَّ الأمريكيين يقفون على الدوام إلى جانب إسرائيل، ويتعاطفون معها؛ إلَّا أنَّ هناك نهجًا أمريكيًّا متوازنًا إزاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؛ حيث برزت أقلية محترمة تعتقد انحياز واشنطن كثيرًا إلى إسرائيل، وأخرى تدعم استخدام العقوبات لإيقاف إسرائيل عند حدِّها، علاوةً على أنَّ أغلب الأمريكان يدعمون تسوية حل الدولتين وانسحاب إسرائيل إلى أراضي ١٩٦٧م .

الجزء الثاني: الأمر ليس إمَّا/أو: الفصل الثالث: الدين الجديد(١١٠)**:** ابتدأ فينكلستين الحديث في هذه الجزئية بالإشارة إلى العوامل الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها والمؤثرة في علاقة اليهود الأمريكيين بإسرائيل (العرقية - الوطنية- العقيدة)، وأشار إلى أنَّ ولاء اليهود لأمريكا كان هو الدافع لتلك العلاقات؛ ففي البداية خشي اليهود الأمريكيين من الاتهام بالولاء المزدوج في حال احتضانهم لإسرائيل بحرارة؛ مما قوي معه احتمال تعرُّض مكاسبهم التي حصلوا عليها للتهديد، بيد أنَّه بعد حرب حزيران ١٩٦٧م تحوَّلت إسرائيل إلى أصول استراتيجية أمريكية، ولم يعد الدعم الذي يقدِّمه اليهود الأمريكيين لإسرائيل مصدر تهديدٍ لهم، وتمكَّنوا وقتها أن يصبحوا مناصرين لإسرائيل، حيث قدَّم لهم استثمارهم الشخصي فيها عوائد كبيرةٍ، ومن هذه البداية انطلقت قصة ودِّ اليهود الأمريكيين لإسرائيل.
ثم تساءل عن الوضع الحالي لهذه العلاقة مع ما يسود من أنَّ إسرائيل لم تعد تمثِّل أصولًا أمريكية، وأنَّها تمثِّل عبأً على الولايات المتحدة، ورغم أنَّه يرى من خلال تدقيقه في سجل العلاقات الديبلوماسية بين أمريكا وإسرائيل تقاطع المصالح القومية لهما في نقاطٍ كثيرةٍ، ما يعني استبعاد احتمال ابتعاد اليهود الأمريكيين عن إسرائيل بهدف الحفاظ على وضعهم الحالي، وأنَّ المصالح تفترق فقط عند القضايا الثانوية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، حيث لا تمتلك الولايات المتحدة أيَّ مصلحةٍ في احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية، بل

(١١٠) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الجزء الثاني: الفصل الثالث: الدين الجديد (ص:٧٣-٨٩).

إنَّ مصلحتها تقتضي إجبار إسرائيل على حلِّ النزاع بطريقة ديبلوماسية؛ وعليه فإنَّه في يعتقد أنَّه في حال أصبحت إسرائيل عبأً سياسيًّا ثقيلًا على واشنطن؛ فإنَّ اليهود الأمريكيين عندئذٍ سيقفون مع البلاد التي عاشوا فيها، وعرفوا فيها ثراءً وتمايزًا لا سابق لهما.

الفصل الرابع: هذه الأرض أرضي[١١١]**:** تناول فينكلستين في هذه الجزئية مناقشة كتاب (اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية) لجون ميرشايمر، وستيفن والت، ويعتبر كتابهما من أكثر الحجج التي يستعان بها لإثبات أنَّ إسرائيل لم تعد تخدم المصالح الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، وأنَّها أصبحت منذ ذلك الحين عبأً على واشنطن، وقد تسبب هذا الكتاب في إحداث ضجَّة في العالم الغربي، وكان من أكثر الكتب مبيعًا.

ويرى أن مستقبل العلاقة بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل يتوقَّف جزئيًّا على المسائل العالقة، وأنَّه في حال أصبحت إسرائيل عبأً حقيقيًّا على الولايات المتحدة؛ فإنَّ مهما كان ضجيج اللوبي الإسرائيلي شديدًا فليس بإمكانه الوقوف في وجه المصالح الأمريكية المحورية، كما أنَّ ذلك سيؤدي إلى إعادة إحياء تهمة (الولاء المزدوج)، التي يخشاها اليهود الأمريكيين؛ مما يؤكِّد تفضيلهم الابتعاد عن إسرائيل - في حال حصول تعارض مع المصالح الأمريكية- خوفًا من تعرُّض مكاسبهم التي حصلوا عليها للخطر.

ومع ذلك فإنَّه يستبعد إمكانية حدوث صدام بين المصالح الأمريكية ومصالح إسرائيل، باعتبار أنَّ إسرائيل لا تزال تشكِّل ثروة استراتيجية للولايات المتحدة، لأنَّها تمثِّل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، والذي تتعلَّق به مصالح الولايات المتحدة، كما يرى أنَّ المصلحة متبادلة بين الدولتين في منع بروز قوى إقليمية مستقلة في الشرق الأوسط؛ الأمر الذي سيبقي البرامج الاستراتيجية لكلٍّ من واشنطن وتل أبيب ثابتة حتى بعد انتهاء الشيوعية، ويعتقد أنَّ إسرائيل هي صنيعة الغرب إلى حدٍّ كبير، وأنَّها تحولت منذ حرب حزيران إلى دولة تابعة للولايات المتحدة في كلِّ المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية، وتبقى إسرائيل فريدةً من نوعها من ناحية الدعم الشعبي الذي يمكن لواشنطن الاعتماد عليه، كما يُرجع السبب في تدليل أمريكا لتل أبيب بعد حرب حزيران ١٩٦٧م إلى الضربة القاصمة التي أنزلها الجيش الإسرائيلي بالتطلعات العربية القومية في العالم العربي، والتي كانت مصدر تهديد لقدرة الغرب على المحافظة على الاستقرار بالعمل من خلال الطبقات الحاكمة.

وفي سياق التدليل على ثبات السياسة الخارجية للولايات المتحدة وعدم تأثرها بضغوطات اللوبي الإسرائيلي أشار فينكلستين إلى أنَّ سياسة واشنطن في عهد الرئيس أيزونهاور كانت أكثر تنوُّرًا من خلال رفضها ابتزاز اللوبي وتكتيكاته، ويظهر ذلك من خلال موقف واشنطن من تأميم الرئيس عبد الناصر لقناة السويس، ولجوئها إلى الحلول الديبلوماسية،

(١١١) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الجزء الثاني: الفصل الرابع: هذه الأرض أرضي (ص:٩١-١٦٥).

عبر محاولة تحييده، وعزله عن الاتحاد السوفيتي؛ وإظهار الود الديبلوماسي والإغراءات الاقتصادية بتقديم المساعدات الغذائية لمصر، ودعم مشروع أسوان، والقروض المتعددة، ورغم عدم جدوى ذلك؛ إلَّا أنَّ الولايات المتحدة رفضت إقدام بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مجتمعة على التخطيط والتنفيذ لاجتياح يهدف إلى قلب نظام عبد الناصر بالقوة - رغم قناعتها بأهمية سقوط نظامه لكنها كانت تختلف معهم في الطريقة- ورغم أنَّ أيزونهاور كان مُقدِمًا على الانتخابات الرئاسية، ومع توقُّعه حدوث انتقام يهودي في صناديق الاقتراع؛ إلَّا أنَّه شجب العدوان الثلاثي ومن دون تأخيرٍ، وأمر بالانسحاب الكامل للجيوش الغازية؛ بسبب أنَّه كان أكثر حذرًا فيما يتعلق بالعالم العربي والإسرائيلي على حدٍّ سواءٍ؛ ولأن المخاطر الاقتصادية كانت عالية جدًا، والمشهد السياسي كان شديد الاضطراب؛ لذا لجأت الولايات المتحدة إلى حماية هذه المصالح وحاولت تجنُّب معاملة العرب بالخشونة.
أمَّا فيما يتعلَّق بالحرب على إيران؛ فيشير إلى التشارك بين مصالح واشنطن وتل أبيب في هذا الجانب، كما يشير إلى أنَّ ما تفعله إيران يصبُّ في مصلحتها القومية، حيث تسعى إلى اعتراف الولايات المتحدة بها كقوة إقليمية عظمى في الشرق الأوسط، وتهدف إلى امتلاك الأسلحة النووية، الأمر الذي سيمكِّنها من وضع ضوابط على مجال مناورة الولايات المتحدة في الخليج الفارسي، والقدرة على تعطيله، بالإضافة إلى أنَّها ستلقي بظلِّها على المنطقة بأكملها، وستؤثر قدرتها على الهيمنة على سلوكيات الدول الأخرى؛ لذا كان مقابل طموح إيران المستمر تصميم الولايات المتحدة وإسرائيل على إحباط ذلك الطموح، والحفاظ على سيطرتهما الإقليمية، وأشار إلى أنَّ تعزيز إدارة بوش للاجتياح الإسرائيلي لمناطق حزب الله في لبنان عام ٢٠٠٦م ومحاولة إلحاق الهزيمة به - إلى جانب إرادة محوها لآثار هزيمة إسرائيل عام ٢٠٠٢م - فإنَّها كانت تطمح أن يُضعف هذا الهجوم من نفوذ إيران الآخذة في الانتشار، ويلحق الهزيمة بها لتدخُّلها في العراق وسوريا، ومساعدتها للخلايا الإرهابية ضد الجيش الأمريكي، كما كان الهدف منها تحضير الأرضية المناسبة للهجوم على إيران، عبر إضعاف القدرة القتالية لحزب الله، ما يستنتج منه أنَّ النصر في هذه الحرب يؤكِّد توافق المصالح الأمريكية والإسرائيلية، ويضع حدًّا للتحدي الذي تمثله إيران لهيمنة أمريكا وإسرائيل.

الجزء الثالث: سفر الخروج مجدَّدًا، الفصل الخامس: صرخات تقشعر لها الأبدان[١١٢]:
بين فينكلستين منهجه في هذا الجزء الذي يشتمل على خمسة فصول، حيث قام على تخصيص أبعاد هامَّة في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وهي: حقوق الإنسان- والسجلات التاريخية- والديبلوماسية القانونية، ويقوم في كل فصلٍ بمقابلة كتاب شعبي رائج يدافع عن السياسة الإسرائيلية مع الاستنتاجات النقدية للأبحاث الحديثة، مع تركيزه على القضايا

(١١٢) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الجزء الثالث: سفر الخروج مجددًا، الفصل الخامس: صرخات تقشعر لها الأبدان (ص:١٦٩-٢١١).

الصعبة في نقد إسرائيل وهي: نظافة أسلحتها - وحروبها الحتمية – وبحثها الدؤوب عن السلام، مشيرًا إلى أن مؤلفي الكتب التي سيتناولها بالنقد والتمحيص قد أُخذوا من البيئات التي تُشكِّل الرأي العام، ويعتبر كلٌّ واحدٍ منهم معلمًا بارزًا في مجاله، ويشير إلى أنَّه بالرغم من أنَّ اليهود الأمريكيين لم يكن بإمكانهم الموازنة بين ليبراليتهم وما يعرفونه عن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؛ إلَّا أنَّهم يفضِّلون تصديق التفسيرات الرائجة للكتب الشعبية على الاستنتاجات الدامغة للأبحاث العلمية، ويرجع ذلك إلى النفوذ القوي لهذه التفسيرات على الرأي العام؛ بيد أنَّه يستدرك بأنَّ نتائج الأبحاث العلمية قد أخذت في التسرُّب بعفوية في النقاشات العامة التي يميل المثقفون اليهود إلى ارتيادها حيث تتمتع تلك الدراسات بالجدية والتأثير، وبعددٍ كبيرٍ من الحضور.

ويؤكِّد في حديثه عن التعذيب الذي اعتادت إسرائيل على ممارسته مع المحتجزين الفلسطينيين على أنَّ خروقات إسرائيل لحقوق الإنسان كانت منذ البداية إلَّا أنَّها لم تحظ إلا بالقدر القليل من الاهتمام، حتى ساهمت منظمات حقوق الإنسان في كشف بعض ما يحدث في السجون الإسرائيلية، وإن كان عمل هذه المنظمات في البداية يتَّسم بالمجاملة والتحفظ في العبارات، على نحو التعبير عن التعذيب بـ (سوء معاملة السجناء)؛ بيد أنَّه بعد قيام منظمة بتسليم (مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة) بتوثيق عمليات التعذيب التي تمارسها إسرائيل ضد الفلسطينيين بشكلٍ مكثفٍ؛ بدا وكأنَّ منظمات حقوق الإنسان الغربية حصلت على غطاءٍ أخلاقيٍّ لم تعد مضطرةً معه إلى تجاهل ما لا يمكن تجاهله مما يحدث في السجون الإسرائيلية؛ لتقوم بواجباتها فيما يتعلق بإسرائيل.

وتناول في هذا الفصل نقد كتاب (سجناء: مسلم ويهودي عبر حاجز الشرق الأوسط)، لجيفري غولدبرغ - الكاتب في صحيفة (ذي أتلانتيك مونثلي)، والحائز على العديد من الجوائز الصحافية، ومحطُّ اهتمامٍ كبيرٍ من الرأي العام، والمعروف بانحيازه لإسرائيل في وسائل الإعلام المطبوعة والإنترنت- وتتبع فينكلستين الزيف الوارد في الكتاب عن واقع السجون الإسرائيلية التي خدم فيها غولدبرغ، وأرسل التقارير عنها من الأراضي الفلسطينية، وقام بالرد عليه من واقع السجلات التاريخية وتقارير منظمات حقوق الإنسان، وقارن بين ما يورده الكاتب من حقائق ناقصة وبين دراسات ومقالات أخرى أكثر وضوحًا ودقةً ومصداقيةً، كما ناقش العديد من القضايا التي تناولها الكاتب مثل: تعذيب السجناء الفلسطينيين، وسياسة القمع الإسرائيلية، والقتل دون تمييز، واستخدام إسرائيل لأطفال فلسطين كدروع بشرية، وتهمة عدم استخدام الفلسطينيين للمقاومة السلمية.

ويرى فينكلستين أنَّ الكاتب يقوم بدمج مذكرات يهودي متحمس في البداية، ومحبط من إسرائيل في النهاية، وأنَّ كتابه مجرد مؤامرة إعلامية صهيونية، وبرغم كون الكاتب نصَّب نفسه لتلميع إسرائيل وتصريحه بالفخر بأنَّها موطنه؛ إلَّا أنَّه ما لبث أن قرَّر أنَّ أمريكا هي أفضل مكان لليهود الأمريكيين؛ ويحلِّل فينكلستين ذلك بشعور غولدبرغ المتزايد بالإحباط من إسرائيل؛ نظرًا لكون الانطباع الأولي المغري حولها لم يعد مقبولًا لديه؛ لأنَّ قدرًا كبيرًا من الحقائق المعروفة جعلت من غير الممكن الموازنة بين القيم التي يؤمن بها وبين

ما يراه في أرض الواقع الإسرائيلي، مما جعله يختار أمريكا بلد القيم التي يؤمن بها على إسرائيل المناقضة في واقعها لتلك القيم، الأمر الذي جعل كتابه أقرب إلى مرثاة من كونه دفاعًا عن إسرائيل، ومع أنَّ إصراره على الدفاع عن إسرائيل في الوسائل الإعلامية -رغم ما تكشَّف له وللجمهور الغربي من حقائق لا يمكن حجبها- جعله شخصية كاريكاتورية تهريجية تستحق السخرية والتأنيب.

الفصل السادس: منظمات حقوق الإنسان[١١٣]**:** تتحدَّث هذه الجزئية عن تقارير منظمات حقوق الإنسان، وتكشف عن جوانب من خروقاتها للمبادئ والقوانين المعتمدة؛ نتيجةً للضغوط المهنية والمالية التي تتعرض لها من مناصري إسرائيل في الولايات المتحدة، وما ينتج عن هذه الضغوطات من استجابات مؤسفة، ومع ذلك فلا يفوته التأكيد على أنَّه لا يعدُّ أصلًا في التقارير الصادرة عن هذه المنظمات، ورغم محاولتها في الماضي تجنُّب الصراع الإسرائيلي الفلسطيني عندما كانت تعتبر التصريحات الصحفية الإسرائيلية بمثابة نصوص مقدسة؛ إلَّا أنَّ واقعها اليوم يشير إلى سجلٍّ حافلٍ بإثبات الحقائق، مع التزام الدقة والموضوعية، والبعد عن التلاعب والتزييف؛ لأنَّ الأشخاص العاملين في تلك المنظمات يؤمنون بعمق بالمبادئ التي يتبنَّونها، ويخضعون للمراقبة فيما بينهم.
ويشير إلى طبيعة التنازلات التي تصدر عن هذه المنظمات فعادة ما تكون في استنتاجات تلك المنظمات حيث يكون القانون مرنًا بما يكفي لتوسيعه أو تقليصه؛ بما يناسب سياسيًّا، بيد أنَّ الحقائق تمتلك قوةً كبيرةً بحدِّ ذاتها، مما يجعل من السهل إظهار ما أُدخل عليها، والتعرُّف على ما ليس له أساس قانوني، ويضيف بأنَّه كلما أعيدت صياغة الحقائق لتبدو أقلُّ هجوميةٍ؛ كلما زاد وضوح حقيقة أنَّ إعلانها على هذا النحو يفتقر إلى الحقيقة، كما أشار إلى أنَّه يمكن كشف خروقات هذه المنظمات من خلال مقابلة استنتاجات ونتائج عدة منظمات لحقوق الإنسان مع بعضها؛ وعرض تلك التقارير على المعايير المعتمدة والمراجع الموثوقة لقانون حقوق الإنسان.
ثم يسرد العديد من نماذج خروقات بعض تلك المنظمات، كمرصد حقوق الإنسان ومنظمة هيومان رايتس ووتش، وذلك فيما صدر من تقارير عنهما تتعلق بالجانب الإسرائيلي في حرب لبنان ٢٠٠٦م مقابل ما صدر عنهما أيضًا من تقارير تتعلق بجانب حزب الله، وأورد العديد من النماذج للتحيُّز الذي مثَّلته هاتان المنظمتان لإسرائيل مقابل تحاملهما على حزب الله، في عدة موضوعات: كالأسلحة العشوائية، وأنظمة إسقاط الأسلحة، والاستخدام العشوائي للأسلحة، واستهداف المدنيين، وغيرها، مما جعله يختم بقوله: "ومع ذلك لا يمكننا القول بأنَّ هذه الأخطاء والسَّخافات الموجودة في التقرير نتجت عن تخبُّط هيومان رايتس واتش[١١٤] في آلياتها الذاتية، كانت تلك الأخطاء نتيجة ثانوية لإساءة استخدام

---

(١١٣) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الجزء الثالث: الفصل السادس: منظمات حقوق الإنسان (ص:٢١٣-٢٦١).

(١١٤) وردت في هذا الكتاب (هيومان رايتس واتش)، ووردت في كتاب ما يفوق الوقاحة (هيومان رايتس ووتش) وهي منظمةٌ واحدةٌ.

الآليات القانونية المقصودة من قبل هيومان رايتس واتش بهدف التخفيف من العواقب السياسية التي ستنشأ عن استنتاجها للوقائع، استسلمت هيومان رايتس واتس أمام جماعة ضغطٍ تمتلك الثراء؛ لكنها ألحقت ضررًا بقضية الحقيقة والعدالة، وأعطى هذا التصرُّف صدقية لتساؤلات أولئك في الشرق الأوسط الذين يشكِّكون في موضوعية منظمات حقوق الإنسان الغربية، وهو أمرٌ لا يمكن أن يُغتفر"[١١٥].

الفصل السابع: أسياد الحرب[١١٦]**:** يشير في هذه الجزئية إلى اعتياد البحوث الأكاديمية المعبرة عن ماضي إسرائيل أن تكون نسخةً ملحقةً بالحكاية الصهيونية الرسمية والبطولية التي خلَّدها ليون يوريس في روايته (الخروج)، وأنَّ المغزى السياسي لهذه الرواية هو دعم إسرائيل اللامحدود، بيد أنَّه يشير إلى أنَّ الدراسات الأكاديمية الحديثة قد كشفت زيف هذه الأسطورة، في ضوء بروز إجماعٍ أكاديمي واسعٍ يوجِّه النقد لإسرائيل، وأشار في هذا السياق إلى نموذج من الشائعات المضللة حول أساس مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وأنَّهم فروا من بلدهم أثناء حرب ١٩٤٩م؛ لأنَّ الزعماء العرب حثوهم عبر محطات الإذاعة على إخلاء المكان أمام الجيوش العربية الغازية؛ بيد أنَّ هذه الشائعة ثبت بطلانها عندما قام الباحثان وليد الخالدي وإيرسكين تشايلدرز بغربلة أرشيفات الإذاعات العربية حتى ذلك التاريخ مما نتج عنه نفي مثل هذه النصائح الرسمية، واستتبع الأمر قيام بعض الدراسات الأكاديمية بالكشف عن خطأ الرواية الإسرائيلية الشائعة، حتى أجمع معظم الباحثين حديثًا على معاناة الفلسطينيين من التطهير العرقي عام ١٩٤٩م. وأشار إلى كتاب رئيس وزراء إسرائيل السابق شلومو بن عامي (ندوب الحرب، جراح السلام)، باعتباره نموذجًا للمسؤولين الإسرائيليين المتعقِّلين الذين دحضوا الأساطير السائدة في الماضي؛ إذا أظهر بن عامي في كتابه مدى الضيق الذي وصل إليه الجدل التاريخي حول مسألة اللاجئين الفلسطينيين، واستنتج أنَّ إسرائيل طردت الفلسطينيين عمدًا تمشيًّا مع فلسفة الترانسفير (التطهير العرقي) التي تمتلك جذورًا عميقةً في الفكر الصهيوني.

ثمَّ انتقل إلى الحديث عن حرب حزيران ١٩٦٧م، والتي لعبت أهمَّ دورٍ محوريٍّ في عقلنة السياسة الإسرائيلية الراهنة، وأنَّه برغم وضوح الحقائق عن الحرب بصورةٍ أكبر؛ إلا أن المدافعين عن إسرائيل لا يزالون يفعلون ما بوسعهم في سبيل بقاء أسطورتها المزعومة، ومن ذلك تناوله نقد كتاب (حرب الأيام الستة: حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، وتشكيل الشرق الأوسط الحديث)، لمايكل أورين، والذي حقَّق نجاحًا تجاريًّا منقطع النظير في الولايات المتحدة، وصار من أكثر الكتب مبيعًا، كما نال ثناء الصحف الغربية مثل صحيفة نيويورك، وجهد فينكلستين في كشف مواضع التزييف التي يتضمنها كتاب أورين، وإبراز أخطائه المنهجية في سياق ما أورده من أحداث في حرب ١٩٦٧م على مصر وسوريا

---

(١١٥) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٢٦١).

(١١٦) ينظر: المرجع السابق، الجزء الثالث: الفصل السابع: أسياد الحرب (ص:٢٦٣-٣٠٨).

والأردن وفلسطين، مع الإشارة إلى المغالطات التاريخية والتناقضات، وتجاهل الحقائق الهامة، واجتزاء النصوص، والتضخيم المتعمد، والمبالغات غير الصحيحة الواردة في الكتاب، مما يظهر بمقارنته مع سجل الحقائق المعروفة اتساع الثغرة بين الأدب الشعبي والدراسات الجادة.

الفصل الثامن: المؤامرة الكبرى[١١٧]**:** يشير في هذا الفصل إلى أنَّ الدراسات المزيفة الداعمة لإسرائيل والمتنكرة وراء قناع البحوث العلمية لا تزال تنشر في المطابع الجامعية المرموقة، وتحظى بالثناء في الأوساط الجامعية، ويتناول كمثالٍ عليها نقد كتاب (فوكسبات فوق ديمونا: مقامرة السوفيات النووية في حرب الأيام الستة)، لإيزابيلا غينور، وجدعون ريميز، ذلك الكتاب الذي تحوَّل إلى ظاهرة أمريكية رغم أنَّ المؤلفين ينحدران من إسرائيل، وقد ناله الكثير من ثناء الخبراء الأمريكيين؛ مما يعكس الخطأ المستمر للمفكرين الأمريكيين عندما يتعلق الأمر بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

ويفترض المؤلفان في كتابهما نظريةً مثيرةً، إذ يعتبران أنَّ حرب حزيران ١٩٦٧م كانت ذروة المؤامرة السوفياتية متعدِّدة الجوانب، والتي كانت تهدف إلى تدمير برنامج إسرائيل النووي، وأنَّ السوفيات علاوة على الأمريكيين وإسرائيل والعرب تشاركوا في عملية التغطية على هذه المؤامرة لمدة الأربعين سنة الماضية؛ إلى أن تمَّ كشف هذه المؤامرة في كتابهما بعد جمع المعلومات الاستخباراتية والبيانات المتفرقة والوصل بينها، وتقوم حجة الكتاب على إصابة السوفيات بالهلع عند علمه بقرب امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية في مفاعلها في ديمونا؛ وحيث افتقد مع أتباعه من العرب إلى ذريعة شرعيَّةٍ لتوجيه ضربةٍ استباقيةٍ لإسرائيل؛ عمد إلى إغراء إسرائيل بتوجيه الضربة الأولى، ثمَّ خطَّط لتدمير مفاعلها النووي كردِّ فعلٍ لتلك الضربة، وهو ما ستوافق عليه الولايات المتحدة باعتبار إسرائيل هي المعتدية، وقد نجحت هذه الخطة - حسب قولهما- إلى حين اللحظة الحاسمة؛ عندما أدت الضربة الإسرائيلية الأولى غير المتوقعة إلى القضاء على فاعلية أيِّ ردٍّ انتقاميٍّ محتملٍ، مما جعل من هذه المؤامرة حمقاء وغير مناسبة.

ويسرد الكثير من ادعاءات المؤلِّفَين، ويكشف مواضع الخلل والخطأ في طريقة استنتاجهما وربطهما بين الأحداث، واعتمادهما في كثيرٍ من الأحيان على العبارات الاحتمالية لعدم وجود أدلةٍ قاطعةٍ، ويثبت خطأ هذه الفرضيةً من الأساس، مرورًا باستشهاداتها الخاطئة، وانتهاءً بفشل المؤامرة المزعومة، كما أشار إلى دور اليهود الأمريكيين في دعم مثل هذه الدراسات المضللة حيث "منح معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى جائزته الفضية لعام ٢٠٠٨م عن فئة (الكتب غير القصصية حول الشرق الأوسط) لكتاب (فوكسبات فوق

(١١٧) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الجزء الثالث: الفصل الثامن: المؤامرة الكبرى (ص:٣٠٩-٣٣٥).

ديمونا)، وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من: جيم هوغلاند (واشنطن بوست)، وبرنار لويس (جامعة برنستون)، ومايكل ماندبوم (معهد جونز هوبكنز للدراسات الدولية العليا)"[١١٨].

الفصل التاسع: إسرائيل والعالم[١١٩]**:** يتناول فينكلستين في هذه الجزئية الحديث عن دور إسرائيل في إعاقة عمليات السلام في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، وأشار إلى تصريح الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر في كتابه (فلسطين السلام وليس التمييز العنصري)، بأنَّ استمرار سيطرة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية، وإصرارها على استعمارها يعدُّ العقبة الرئيسية التي تحول دون الوصول إلى اتفاقيَّة سلام شاملة، وأنَّ السلام سيخيِّم على إسرائيل والشرق الأوسط عندما توافق الحكومة الإسرائيلية على الخضوع للقوانين الدولية وتقبل بحدودها القانونية، كما أشار إلى أولئك المدافعين عن إسرائيل الذين يحاولون تبرير تمرُّدها على القوانين الدولية، وتبييض صفحتها أمام الرأي العام، ومن ذلك تناوله بالنقد مجادلة المرجع القانوني يوليوس ستون في كتاباته واسعة الانتشار والتي يدافع فيها عن الاحتلال الإسرائيلي، ويسعى لتبرير ممارساتها قانونيًّا عبر المغالطات وسوء الفهم والتضليل لمدلولات القوانين الدولية، ويعرض فينكلستين نماذج لهذه الأغلوطات التي يوردها ستون، ثمَّ يرد عليها من واقع السجلات التاريخية، وتقارير منظمات حقوق الإنسان، والآراء القانونية، كما أورد العديد من الجداول التي توضِّح نتائج الاستطلاعات والتصويت لعدد من المواضيع المتعلقة بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.
ثم تناول كتاب (السلام المفقود: القصة الحقيقية للسعي من أجل السلام في الشرق الأوسط) لدينيس روس - رجل المرحلة في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني في عهد إدارة الرئيس الأمريكي بل كلينتون- ويورد كتاب روس كمثالٍ واضحٍ على استحالة الدفاع عن الموقف الديبلوماسي الإسرائيلي من غير تجاهل الإجماع القانونيِّ الواسع على كيفية حل النزاع، كما يبرز المشكلتين الأساسيتين اللتين اعتمد عليهما روس في كتابه واللتان أوصلتاه إلى استنتاجات تستند على رفض قواعد القانون الدولي المقبولة بشكلٍ واسعٍ، المشكلة الأولى: هي اعتماد روس في روايته على ذاكرته ومذكراته الشخصية التي كتبها - بحكم موقعه ودوره السياسي في حل النزاع- والتي ثبت أنَّها تختلف عند مقارنتها بالسجلات التوثيقية الثابتة، والثانية: أنَّ روس يركِّز عند مناقشته الفرضيات على الاحتياجات وليس على الحقوق -رغم أنَّ الحقوق والقانون يشكِّلان الأساس الذي يتوصل به إلى الاتفاقات الديبلوماسية-، مما تسبَّب في إحداث تشويش وتناقض وتحيُّز وعدم إنصاف، ويعرض فينكلستين الكثير من الشواهد من كتاب روس والتي حاول من خلالها إثبات أنَّ الفلسطينيين كانوا وراء فشل محادثات السلام في أوسلو وكامب ديفيد، ثمَّ يناقش هذه الادعاءات ويرد عليها من واقع السجلات التاريخية، وتقارير منظمات حقوق الإنسان، والآراء القانونية،

---

(١١٨) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٣٣٥).

(١١٩) ينظر: المرجع السابق، الجزء الثالث: الفصل التاسع: إسرائيل والعالم (ص:٣٣٧-٤١٢).

ويؤكِّد على أنَّ التنازلات التي ادِّعى روس بأنَّ إسرائيل قدَّمتها في محادثات السلام لم تكن تنازلات حقيقية، ولا مبادلة احتياجات في مقابل احتياجات، بل كان مفادها تلبية الاحتياجات الإسرائيلية على حساب الحقوق الفلسطينية، مما يبرز معه الفارق في التضحية بين كبح الإنسان ما يشتهي، وبين أن يتخلَّى عن حقوقه؛ لذا فإنَّ السبب الحقيقي في فشل محادثات السلام هو أنَّ إسرائيل كانت تطلب دائمًا أكثر مما ينبغي، في حين كان الفلسطينيون يتنازلون أكثر عن حقوقهم، مما جعل شلومو بن عامي - وهو من أبرز المفاوضين الإسرائيليين في قمة كامب ديفيد- يقول: "لو كنت فلسطينيًا لكنت رفضت كامب ديفيد بدوري، بينما استنتج زائيف موعاز... بأنَّ التنازلات الهامة التي طلبتها إسرائيل من الفلسطينيين في كامب ديفيد لم تكن مقبولة، ولا يمكن أن تكون مقبولة"[١٢٠].

الجزء الرابع: الصورة المعكوسة: الفصل العاشر: التاريخ بالتناقص[١٢١]: يشير فينكلستين في هذه الجزئية إلى أنَّه بالرغم من أنَّ اليهود الأمريكيين لم يعودوا قادرين على الموازنة ما بين قناعاتهم الليبرالية وبين دعمهم الأعمى لإسرائيل التي تُناقض مبادئهم التي يؤمنون بها، وأنَّهم لجئوا في هذه الحال إلى إبعاد أنفسهم عنها، ومع أنَّ المجتمع الأمريكي لا يزال ليبراليًّا بشكل كبير، وأنَّ المجتمع اليهودي أصبح محافظًا بشكلٍ أكبر؛ إلَّا أنَّ ثمَّة مجموعة من المفكرين الليبراليين الساعين إلى مواكبة اتجاه إسرائيل نحو اليمين مما أدَّى إلى تخلِّيهم عن مبادئهم الليبرالية، وتنكُّرهم لقيمهم السابقة بهدف الدفاع عن سياسات لا يمكن الدفاع عنها في أرض الواقع، وتناول في هذا الفصل الحديث عن نموذج لهذه الفئة من المفكرين، وهو بيني موريس -أشهر مؤرخٍ معروفٍ في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني- والذي ساهمت أعماله في كشف الجهة المظلمة من تاريخ إسرائيل؛ إلَّا أنَّه - وبكل الأسف- رفض في السنوات الأخيرة أبحاثه الأصيلة بهدف تلميع صورة إسرائيل، ويصرِّح فينكلستين بالحيرة تجاه الكيفية التي يمكن معاملة إنتاج موريس وفقها! حيث يصعب الفصل بين موريس المؤرخ وموريس العقائدي، ويتساءل هل يمكن اعتبار أعماله ضمن الدراسات الحقيقية، أو باعتباره من المدافعين والمهتمين عن إسرائيل، ويخلص أخيرًا إلى أنَّه بعد التمحيص لا يمكن إنكار أنَّ موريس القديم كان مؤرخًا جديدًا ينتج أبحاثًا جادة، بينما أصبح موريس الجديد مؤرخًا قديمًا ينتج أعمالًا دعائية ومتحيزة، إنَّ موريس القديم يجول في الأرشيفات كي ينتقي وثائق هامة حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني قبل ترتيبها في قصة شيِّقة عن الماضي، بيد أنَّ موريس الجديد لجأ إلى مراجعة استنتاجاته السابقة بهدف تبييضها؛ مما يمكن معه وصف هذا النوع من الكتابة: كتابة التاريخ عن طريق التناقص لا الإضافة.

---

(١٢٠) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٤١٢).

(١٢١) ينظر: المرجع السابق، الجزء الرابع: الصورة المعكوسة، الفصل العاشر: التاريخ بالتناقص (ص:٤١٥-٤٨٣).

الخاتمة[١٢٢]**:** يختم الكتاب بالتأكيد على ما قرَّره منذ البداية من أنَّ معرفة قطاعات واسعة من اليهود الأمريكيين لقدر كبير من حقيقة النزاع الإسرائيلي الفلسطيني شكَّل نقطةً فاصلةً تمنعهم من الاستمرار في منح إسرائيل الدعم الأعمى، ويظهر ذلك من خلال انتشار الشهادات العلنية بالتحرُّر من أوهام إسرائيل، والانتقادات اللاذعة لها من قبل اليهود الليبراليين، وعدم إمكانية تغافل اليهود الذين تلقوا ثقافة عالية عن الحقائق الوحشية لسياسة إسرائيل، وكذلك تجاهل الطلاب الجامعيين الأحداث الجارية في إسرائيل، وانخفاض الحضور من اليهود في المهرجانات العامة الداعمة لإسرائيل أوقات الأزمات.

ثمَّ يعلن أنَّ اليهود الأمريكيين يقفون الآن على مفترق طرق، فإمَّا أن يختاروا التنكُّر لقيمهم الليبرالية المعلنة، ويستمروا في التجديف مع سفينة إسرائيل التي توشك على الغرق، أو يبتعدوا عن إسرائيل، ويتمسكوا بالمبادئ الديموقراطية العالمية التي جلبت لهم المجد، وساهمت في تقدمهم.

ويختم بقوله: "إنَّ نهاية قصة غرام اليهود الأمريكيين مع إسرائيل ستكون نعمةً ليس بالنسبة للفلسطينيين فحسب، بل للإسرائيليين أيضًا...،كانت إسرائيل هي المسرح الذي أظهر اليهود الأمريكيون فيه خيالاتهم، وكانت بمثابة الذريعة التي استخدموها في سعيهم وراء السلطة والتمايز، أمَّا إذا تحوَّلت إسرائيل إلى دولةٍ مجنونةٍ؛ فإنَّ الدور الأكبر في ذلك يعود إلى اليهود الأمريكيين، وهم الذين شجَّعوها في ميولها الرجعية، وحرَّروها من قيودها الضرورية، كما أنَّهم مارسوا نفوذًا مؤذيًا على المجتمع الإسرائيلي، لكن اليهود الأمريكيين يمتلكون الآن فرصةً لتصحيح الخطأ المزدوج: الرعب الذي لحق بفلسطين، وكذلك الضرر الذي لحق بإسرائيل، أمَّا إذا استفاق الوعي الليبرالي عند اليهود الأمريكيين؛ وقاموا أخيرًا بما هو صائبٌ؛ فإنَّ تلك الليلة الداكنة الطويلة قد تنتهي في وقتٍ سريع"[١٢٣].

ملحق: الليبرالية غير المتحررة[١٢٤]**:** يحشد فينكلستين في الملحق الأدلة القانونية الصادرة عن محكمة العدل الدولية حول عدم شرعية الجدار الفاصل الذي أنشأته إسرائيل في الضفة الغربية، والرأي الاستشاري للمحكمة، والهيكلية القانونية، ونتائج المحكمة، ويقارن بينها وبين الحكم الصادر من المحكمة العليا في إسرائيل، ويشرح باستفاضة فقرات وجزئيات إصدار قرار محكمة العدل، والمبررات التي تسعى المحكمة الإسرائيلية العليا من خلالها إلى تسويغ بناء الحكومة الإسرائيلية للجدار الفاصل، وادعاءاتها حول شرعية هذا الجدار، وعدم معارضته للقوانين الدولية، كما يقوِّم هذه الادعاءات واحدةً واحدةً؛ ويختم بقوله: "تجمع الآراء الموثوقة والخبيرة على أنَّ الجدار سوف يحبط أيَّ إمكانية لتأسيس دولة فلسطينية قابلة للحياة، وبالتالي تسوية الدولتين العادلة، يعني ذلك أنَّ النتيجة تقطيع أوصال فلسطين، وفي أكثر الاحتمالات سفك الدماء، الذي لا نهاية له، أمَّا ثوب الشرعية الأبيض

---

(١٢٢) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة، الخاتمة (ص:٤٨٥-٤٩١).

(١٢٣) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٤٩١).

(١٢٤) ينظر: المرجع السابق، ملحق (ص:٤٩٣-٥٦٠).

الذي أسبغته المحكمة العليا في إسرائيل على هذه العملية الدمويَّة فيبدو أنَّه سيتلطَّخ بالدماء، وفيما يتجاوز العواقب العملية لقرارات المحكمة العليا في إسرائيل؛ إلَّا أنَّها تشهد على المستوى العقائدي بالنسبة إلى استحالة التوفيق بين الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة وبين حكم القانون... وأظهرت في هذه الأثناء مدى اتساع الفجوة ما بين الممارسات الإسرائيلية والآراء القانونية، ومدى صعوبة الدفاع عن هذه الممارسات، من زاوية القيم الليبرالية"[١٢٥].

المطلب الثاني: نقد أفكار الكتاب:

أولًا: أبرز الإيجابيات لكتاب (التمادي في المعرفة):

حوى الكتاب العديد من الإيجابيات، وفيما يأتي إشارة إلى أبرزها:

١. تنظيم عناصر الكتاب، وتوزيعها في أربعة أجزاء، تضمُّ عشرة فصول، الأمر الذي يساعد القارئ على استيعاب كلِّ جزءٍ من الكتاب بشكلٍ أفضل.

٢. تميَّز الكتاب باستخدام الكاتب لأداة مهمَّة من أدوات البحث العلمي في الدراسات الميدانية، وهي الاستطلاعات، فيضمُّ الكتاب في ثناياه حصيلةً كبيرةً جدًا لنتائج الكثير من الاستطلاعات التي تخدم عناصر الكتاب المختلفة.

٣. يمتلك فينكلستين أسلوبًا متميِّزًا يشدُّ القارئ، وينمِّي حسَّ المقارنة والنقد لديه، من خلال التساؤلات التي يطرحها على سبيل المقارنة العكسية، والاعتراض على فكرةٍ خاطئةٍ، بهدف كشف المغالطات، وزعزعة التصوُّرات غير الصحيحة، ومثال ذلك إنكاره لما تدَّعيه إسرائيل من تبريرٍ لانتهاكاتها المتكرِّرة لحقوق الشعب الفلسطيني باعتبارها تمثِّل خطواتٍ دفاعيةً استباقيةً ضدَّ إرهاب الفلسطينيين عليها، وبهدف تأمين حماية إسرائيل، ثمَّ يختم بتساؤله فيقول: "وبالمناسبة؛ هل يجب على العرب احتلال إسرائيل كي يتمكنوا من حماية أنفسهم ضدَّ اعتداءاتها الدورية التي تقوم بها؟"[١٢٦].

٤. يضاف إلى مذكرات إنصاف فينكلستين وموضوعيته ما أورده في هذا الكتاب كتتمَّة لحديثه السابق في كتاب ما يفوق الوقاحة عن تقارير سجلات منظمات حقوق الإنسان التي تدين انتهاكات إسرائيل لحقوق الشعب الفلسطيني، من خلال ما يذكره هنا من نماذج للخروقات الصادرة عن تلك المنظمات أو غيرها فيما يتعلَّق ببعض القضايا -كما في حرب لبنان وقضية حزب الله- بسبب الضغوطات التي تتعرَّض لها من مناصري إسرائيل في الولايات المتحدة، وإعلان أسفه على إضرار تلك التنازلات بالعدالة والحقيقة؛ حيث تؤدي إلى فقدان المصداقية والثقة بالنتائج الصادرة عنها.

٥. دفاعه عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى وردِّه على ادِّعاءات غولدبرغ بأنَّ أبرز

---

(١٢٥) المرجع السابق (ص:٥٥٩-٥٦٠).

(١٢٦) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٤٧٥).

أسباب فشل الفلسطينيين خلال الانتفاضة هو تبنِّيهم للعنف، وعدم تقبُّلهم المقاومة السلمية غير العنيفة، بحشده للعديد من الأدلَّة تفنيدًا لهذه الدعوى، وإبرازه للوسائل المتنوعة للمقاومة السلمية التي تبنَّاها الفلسطينيون في بداية الانتفاضة، كالمقاطعة الواسعة للبضائع الإسرائيلية، والإضرابات التجارية، والتوقف عن دفع الضرائب، وتنظيم اللجان الشعبية في كلِّ مجالات الحياة كالتعليم والصحة والزراعة والقضاء؛ لتحلَّ مكان الحكم الإسرائيلي بدون استخدامٍ للعنف، وكذا إطلاقهم حملة تشجيع الاكتفاء الذاتي، وغيرها من الوسائل التي قابلتها إسرائيل بالقمع والاعتقالات والتعذيب والقتل رغم كونها سلمية لا مجال فيها للعنف[١٢٧].

٦. ثمَّة تصريحٌ خطيرٌ كَشَف فيه فينكلستين عن أهداف مفاوضات أوسلو، وهو "سعي إسرائيل على وجه الخصوص إلى تكليف الفلسطينيين بالعمل القذر من أجل الاحتلال"[١٢٨]، فـ"كان أحد معاني أوسلو أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية شريكة لإسرائيل في إخماد الانتفاضة الأولى، وقمع ما بدا بأنَّه نضالٌ ديموقراطيٌّ أصيلٌ نحو الاستقلال"[١٢٩]، و"كانت فكرة أوسلو هي العثور على دكتاتور قوي من أجل... إبقاء الفلسطينيين تحت السيطرة"[١٣٠]، وذلك بتوقُّع تفوُّق الفلسطينيين على الإسرائيليين في ترسيخ الأمن الداخلي؛ لامتناعهم عن رفع الشكاوى إلى المحكمة العليا، ومنعهم الاتحاد من أجل حقوق الإنسان في إسرائيل من انتقاد الأوضاع هناك، والحكم بطرقهم الخاصة بهم، والأهم من ذلك كلِّه أنَّهم سيكفون الجنود الإسرائيليين مؤونة القيام بواجبهم[١٣١]، والواقع يشهد باستخدام الغرب لهذه السياسة الماكرة في التفريق بين المسلمين في كلِّ مكانٍ، وضرب بعضهم ببعضٍ؛ لاستنزافهم والقضاء عليهم، وضمان استمرار السيطرة عليهم، بأبلغ الوسائل، وأقل التكاليف.

٧. إبرازه للحقائق ودحضه للأكاذيب التي أشاعها روس ضدَّ الفلسطينيين في مفاوضات كامب ديفيد عام ٢٠٠٠م، ومحاولته إلقاء التبعة في فشل المفاوضات على الجانب الفلسطيني، وتبرئة إسرائيل، الأمر الذي رصَده فينكلستين بدقَّةٍ رائعةٍ، وتصدَّى لتفنيده بالحجة والدليل، وقد قال في وصف ما كتبه روس: "يُظهر ذلك بأنَّ الرواية التي يحبكها روس عن الرفض العنيد عند الفلسطينيين لقبول تسوية الدولتين، بينما يتبنَّاها الإسرائيليون بشكلٍ صريح، تشكِّل من بدايتها وحتَّى نهايتها، وبالإجمال قلبًا حقيقيًّا للحقيقة"[١٣٢]، كما يحلِّل الدافع الأساسي لخطأ استنتاجات روس بقوله: "إنَّ الخدعة الهامَّة

---

(١٢٧) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:١٨٩-٢٠٠).

(١٢٨) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٣٧٥).

(١٢٩) المرجع السابق (ص:٣٧٥).

(١٣٠) المرجع السابق (ص:٣٧٥).

(١٣١) ينظر: المرجع السابق (ص:٣٧٥).

(١٣٢) المرجع السابق (ص:٣٩٤).

في رواية روس هي تحويل هيكليَّة عمليَّة السلام من الحقوق إلى الاحتياجات، تفيد هذه الهيكلية الزائفة كأداة تحليلية لإظهار المرونة الإسرائيلية والتصلُّب الفلسطيني، وكذلك كأداة لتحديد السلوك تهدف إلى تبرير تسوية للنزاع تنفي الحقوق الفلسطينية"[١٣٣]، ويختم في تهكُّمٍ: "كان يمكن لكامب ديفيد أن تنجح لو أنَّ الفلسطينيون فهموا بأنَّهم ليسوا حقيقيين، وليسوا بشرًا حقيقيين"[١٣٤].

ثانيًا: أبرز السلبيَّات لكتاب (التمادي في المعرفة):

ثمة العديد من المآخذ، ومجموعة من التساؤلات التي تواردت عند قراءة الكتاب، من أبرزها:

١. من المآخذ على الكتاب -كسابقه -كبر حجمه، بل تجاوز حجمه كتاب ما يفوق الوقاحة، وبلغت عدد صفحاته ٥٦٠ صفحة تقريبًا، ما يجعله يؤدِّي تبعًا لسعة حجمه، وتكرار بعض موضوعاته، والإطالة المبالغ فيها في بعض فصوله إلى إجهاد القارئ وإرهاقه وإملاله.

٢. من المآخذ على الترجمة وليس الكتاب: ترك كثيرٍ من الأجزاء في الهوامش دون ترجمة، ولا أعلم ما السبب في إغفال المترجم ترجمتها؛ مما حرم القارئ من فهم محتواها، وبالتالي الاستفادة منها، وكذلك تركه لبعض المصطلحات في المتن بدون ترجمة، مع إمكانية ذلك، على سبيل المثال: ورد ذكر صحيفة كومنتري في معرض حديثه عن تولِّي بودهوريتز رئاسة تحريرها، فلم يترجمها، وإنَّما كتبها Commentary، ولعلَّ الأولى ترجمة كامل المتن، وكذلك الهوامش.

٣. توجد بعض المواضع التي تحتاج إلى تكلُّف وجهد في فهم المعنى، ويبدو المعنى فيها غير واضح، وفيه نوع غموضٍ، ولا أعلم إن كان السبب من الكتاب الأصل أو الترجمة، وذلك نحو: "يصعب علينا تصوُّر أيِّ شيءٍ قد تجنيه إسرائيل في صراعها مع العرب، والذي يمكن أن يصل إلى مرتبة الإنجازات الرمزية والمثالية. أمَّا عالم الرمزية والمثالية -وهي الكلمات التي استخدمها المفكرون في النقاشات السياسية المعاصرة -فإنَّ إسرائيل لا تعدُّ ببساطة مهمة إلى هذا الحدِّ، توجد إسرائيل في عالم سياسات المصالح، وحيث توجد مسائل العدالة النسبية، لكن ليس مثل وجودها في عالم السياسات النظيفة وغير الأنانية والقضايا التي تهز العالم مثل العدالة التاريخية. تحولت العدالة التاريخية إلى معتادة في اللغة الكارثية تستخدم للقوى والطبقات والأنظمة الاقتصادية، وهكذا لا يجد الحديث عن إسرائيل مكانًا له في تلك المفردات"[١٣٥]، ونحو: "أعلن بودهوريتز الحرب المفتوحة على اليسار الجديد، حتى ولو كان العدو في بدأت مرحلة الانحدار؛ بدأت في ذلك الوقت...

---

(١٣٣) المرجع السابق (ص:٤٠١).

(١٣٤) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٤١١).

(١٣٥) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٨٣).

اندفاعة هجوم المحافظين الجدد ضد العدو، وبدأت Commentary ما بدا وكأنَّه هجومٌ منهجيٌّ"[١٣٦].

٤. من المآخذ المهمة على الكتاب وهو مأخذٌ جوهريٌّ يشعر معه القارئ بالانزعاج الشديد أثناء قراءة الكتاب؛ ويتجلَّى في مخالفة الواقع المشاهد لما يحاول د. فينكلستين جاهدًا إثباته من أنَّ علاقة اليهود الأمريكيين مع إسرائيل باتت معرَّضةً للخطر، والمتوقَّع أن تقترب من نهايتها، بل هو هدفه الأساسي من تأليف الكتاب[١٣٧]، بيد أنَّ القارئ - بصرف النظر عن معرفته لما يجري في أرض الواقع بخصوص متانة هذه العلاقة واستمرارها - فإنَّه لا يخرج من قراءة الكتاب بأدنى قناعة بصحة هذه الفرضية؛ لأنَّ الكاتب - علاوة على حقيقة ما يجري- يصرِّح في ثنايا كتابه بعدم توقُّعه حدوث هذا الأزمة في العلاقات ما بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل، الأمر الذي يجعل الكتاب يبدو متناقضًا في بعض جوانبه، أو يجعل القارئ يخرج - على الأقل- بأنَّه لا جدوى من هذه الفرضية البتَّة، كما قد ينحو فهم القارئ للغرض من تأليف الكتاب محنًى غير إيجابيٍّ.

ولذلك العديد من الأمثلة، منها قوله: "أدَّى تناقص قدرة إسرائيل على حماية نفسها من النقد المحقِّ إلى تدهور موقفها الدولي، لكن ابتعاد اليهود الأمريكيين عن إسرائيل يشكِّل جزءًا لا يتجزأ من هذه العملية الأوسع بكثير ومن ذروتها"[١٣٨]، وكذلك: "وصل هذا السخط العالمي على إسرائيل إلى درجة الغليان أثناء اجتياح إسرائيل لقطاع غزة بين العامين ٢٠٠٨و٢٠٠٩، أمَّا الاحتجاجات الشعبية الكبيرة التي ظهرت في جميع أنحاء أوروبا فقد فاقت بحجمها المظاهرات التي دعمت إسرائيل، يذكر أنَّه حتى في قلاع الدعم الرسمي لإسرائيل مثل: كندا وألمانيا؛ فإنَّ عدم الرضا عن اجتياح غزة وسياسة عدم التسامح الإسرائيلية قد بلغا مستويات مهمة، وأوردت صحيفة فاينانشال تايمز في مقالةٍ لها بعد عامٍ من العدوان الإسرائيلي: أدَّت كثرة الحروب ووحشيتها في هذه المنطقة من العالم إلى تحوُّلٍ في الرأي العام الدولي، وهو الأمر الذي يذكِّر بأنَّ إسرائيل ليست فوق القانون، لا تستطيع إسرائيل بعد الآن أن تملي شروط المناقشات"[١٣٩]، أرجو أن يكون هذا الكلام صحيحًا - وإن كنت أشكُّ في ذلك- وآمل أن يستفاد من هذا التدهور في موقف إسرائيل بفعل ابتعاد اليهود الأمريكيين عنها - كما يرى د. فينكلستين-، وكذا أن يوظَّف الغضب الشعبي ضدَّ إسرائيل في إنصاف الشعب الفلسطيني حقيقةً وعلى أرض الواقع.

وقوله: "أمَّا إذا واجهت إسرائيل، أو بدا أنَّها تواجه أزمة وجودٍ حيث يتعرَّض وجودها للتهديد الفعلي، فإنَّ يهود أمريكا سوف ينهضون، بكلِّ تأكيدٍ، للدفاع عن إسرائيل، فالدمار المادي لأيِّ مجتمعٍ هو عملٌ إجراميٌّ، والعقلاء يفكرون مرعوبين بإمكانية كهذه، أمَّا إذا

---

(١٣٦) المرجع السابق (ص:١٢٦).

(١٣٧) لذا يسعى للتأكيد عليه كلّ مرة، ينظر الصفحات: (ص:٤٧، ٦٣، ٦٧، ٧٠، ١٦٥، ٢٢١، ٣٠٨، ٤١٢).

(١٣٨) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٥٠).

(١٣٩) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٥٣).

برزت هذه الإمكانية بوضوح؛ فإنَّ جموع اليهود الأمريكيون سيهبُّون للدفاع عن إسرائيل، وذلك بدافع رابطة الدم الفطرية، هذا إن لم نذكر الخوف، ومهما كان ذلك غير عقلاني، مما سوف يحدث تاليًا، إنَّ ذلك الموقف سوف يفرض نفسه؛ لأنَّ قيمهم التحرُّرية سوف تدفعهم إلى التحرُّك، ولأنَّه يصعب الاعتقاد بأنَّ الحكومة الأمريكية ستقف في طريقهم، أمَّا المحصلة السياسية للواقع الراهن؛ فتشير إلى أنَّ كسب اليهود الأمريكيين يتطلب الموازاة بين البنود الموضوعة لحلِّ النزاع الإسرائيلي الفلسطيني وبين القيم الليبرالية، أمَّا إذا لم يحدث ذلك؛ فإنَّ معظم اليهود الأمريكيين لن يعربوا عن معارضتهم لها، مهما بلغت معتقداتهم من التنوُّر، ومهما كان مدى البعد الذي يشعرون به عن إسرائيل، يعني ذلك أنَّ هذا الوضع يستدعي البرهنة لليهود الأمريكيين بأنَّ الخيار ما بين إسرائيل وحقوق الفلسطينيين هو خيارٌ زائفٌ، أي إنَّ الواقع يشير إلى أنَّ أنكار إسرائيل لحقوق الفلسطينيين، واللجوء الغريزي إلى القوة الإجرامية هما العاملان اللذان يدفعان بها نحو الدمار"[١٤٠]، فيبدو هنا د. فينكلستين مناقضًا لما يحاول إثباته دائمًا من أنَّ اليهود الأمريكيين لن يقدِّموا مصلحة إسرائيل على مصالحهم الشخصية، ومبرِّرًا ذلك بعدم توقُّع وقوف الحكومة الأمريكية في طريقهم، بل إنَّه ينفي حتَّى مجرَّد معارضتهم لإسرائيل مهما بلغوا من التنوُّر، ويبدو هذا المقطع مناقضًا لما يدَّعيه من أنَّ أساس علاقة اليهود الأمريكيين مع إسرائيل يرجع إلى المواطنة التي تفرض اعتبار مصالح الولايات المتحدة، لا العرقية التي تدفع لتقديم مصلحة إسرائيل.

وقوله: "يمكن للمرء أن يستخلص نتيجةً رئيسةً من نتائج كلِّ هذه الاستطلاعات، وهي أنَّه بغضِّ النظر عما كان صحيحًا في الماضي؛ إلَّا أنَّه لم يعد من الجائز الزعم بأنَّ الرئيس ومجلسي الكونغرس يدعمان إسرائيل بشكل جماعي بسبب الدعم الشعبي الواسع لها"[١٤١]، ربَّما يعدُّ هذا الكلام صحيحًا، ولعل الأمر يتعلَّق في حقيقته بحجم النفوذ اليهودي في الكونغرس، ولا علاقة له بالرأي العام أو الدعم الشعبي؛ إلَّا من باب ذرِّ الرَّماد في العيون.

وقوله: "يمكن للمرء أن يفترض بأنَّه حتى إذا أصبحت إسرائيل عبأً ثقيلًا فإنَّ أولئك اليهود الأمريكيين الذين يحتلون مناصب استراتيجية في عالم السياسة والاقتصاد سوف يحاولون إيقاف أيِّ تحرُّكٍ منظَّمٍ من قِبَل النخبة يستهدف جماعة الضغط الإسرائيلية والمحلية؛ لكن التجربة التاريخية تدلنا على أنَّ هؤلاء اليهود الذين يحتلون مراكز رفيعة سوف يحاولون إعاقة المصالح الأمريكية، وهي المصالح التي يستفيدون منها أكثر من غيرهم، بهدف حماية جماعة ضغطٍ تابعةٍ لدولةٍ أجنبيَّةٍ - حتى إن كانت تلك الدولة تضمُّ أفرادًا من العائلة - لا يجنون منها أيَّة منافع، لكن إمكانية حدوث صدام يضع اليهود الأمريكيين الداعمين لإسرائيل في مواجهة المصالح الأمريكية الأساسية هي إمكانية بعيدة جدًّا، تبقى إسرائيل - وعلى عكس فرضية ميرشايمر ووالت- ثروة استراتيجية؛ لأنَّها تمثِّل النفوذ الأمريكي في

(١٤٠) المرجع السابق (ص:٢٢).

(١٤١) المرجع السابق (ص:٥٨).

منطقة تحمل أهميَّة قصوى بالنسبة إلى الولايات المتحدة، وتحمي ذلك النفوذ، لكن صراع المصالح موجود فعلًا ما بين الولايات المتحدة وإسرائيل على مسائل متفرعة مثل حل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، كما أنَّ اللوبي الإسرائيلي يمارس نفوذًا كبيرًا على دوائر اتخاذ القرار في واشنطن، ويحتمل كثيرًا أن يضع تعارض المصالح على هذه القضية ضغوطًا متزايدةً على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، وهو الأمر الذي يدفع باليهود الأمريكيين بتوتر زائدٍ، كما يمكن لهذ العملية أن تتسارع نتيجة تطورات جديدة بما فيها الربيع العربي، لكن المصالح الأساسية لواشنطن وتل أبيب ما تزال تتقاطع"[١٤٢]، "لكن بالرغم من تطابق المصالح الجوهرية ما بين واشنطن وتل أبيب منذ العام ١٩٦٧، إلَّا أنَّ بعض المراقبين جادلوا، وحديثًا جدًّا - كما فعل ميرشايمر ووالت- بأنَّ السياسة الخارجية الأمريكية تعرَّضت لتغيير الاتجاه بفعل اللوبي الإسرائيلي؛ لكن الواقع يوحي بأنَّ السياسية الأمريكية في الشرق الأوسط لن تتغيَّر بشكلٍ كبيرٍ، ما عدا الاستثناء الهام الذي يتمثَّل في النزاع الفلسطيني الإسرائيلي في غياب اللوبي الإسرائيلي"[١٤٣]، وأتساءل هنا عن جدوى هذه الافتراضات التي لا يملُّ د. فينكلستين ولا يكِلُّ من تكرارها، وربَّما تبيَّن أن ليس لها داع في ظلِّ ما يشهده الواقع من تمسُّك الولايات المتحدة بإسرائيل، ودفاعها المستميت عنها، ومع ما أشار إليه هو من الضغط المتوقع أن يمارسه اللوبي اليهودي على الحكومة الأمريكية لفرض تعاطفها مع إسرائيل، مما يعطي مؤشرًا دقيقًا على مدى تغلغل اليهود في المؤسسة الأمريكية، وتحكُّمهم في مفاصلها؛ إلى الحدِّ الذي يَفرِض الجزم باستحالة تفريط الولايات المتحدة في إسرائيل، ويُثبِت استمرار دعمها لها.

وفي معرض ذكره لرضوخ أمريكا لإسرائيل في قضية النزاع، وتعاطفها معها، وامتناعها عن التصويت ضدَّها ضمن قرارات الأمم المتحدة يقول: "لكن الواقع هو أنَّ ميرشايمر ووالت محقَّان جزئيًّا، فإذا كان اللوبي الإسرائيلي لم يحرف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بالكامل، إلا أنَّ الطرائق المتصلِّبة التي استخدمها ذلك اللوبي في تأييد الاحتلال الإسرائيلي قد نجحت في حرف السياسة الأمريكية في قضايا فرعيَّة مثل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، وبغضِّ النظر عن تفكير المرء في تلك الفكرة الغامضة (المصلحة القومية)، فإنَّ من الصعب أن يُفهم ما هي استفادة واشنطن من احتلال إسرائيل، وضمِّ الأراضي الفلسطينية كأمرٍ واقع، هذا في وقت ترافق دعمها لهذه السياسات مع ثمن نفور الرأي العام في العالم العربي الإسلامي، وتقديم نفسها هدفًا أكثر احتمالًا للهجمات الإرهابية"[١٤٤]، ويضيف: "لكن مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة آثر غولدبرغ نصح بالقول: يتعيَّن علينا عدم تغيير موقفنا بالامتناع عن التصويت؛ لأنَّ الجالية اليهودية هنا ستهبُّ ضدَّنا إذا غيَّرنا موقفنا، امتنعت الولايات المتحدة تكرارًا عن التصويت على قرارات الأمم

(١٤٢) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٩٣).

(١٤٣) المرجع السابق (ص:١٠٣).

(١٤٤) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:١١٦-١١٧).

المتحدة التي تمنع إسرائيل من ضمِّ القدس الشرقية، تماشيًا مع نصيحة غولدبرغ... وأوردت مذكرة أصدرها مجلس الأمن القومي إنَّ المستويات الخبيرة في حكومتنا شكَّكت وعن حقٍّ - كما تبين لاحقًا- بأن يكون الرئيس مستعدًّا في سنة الانتخابات لممارسة أي نوع من الضغوط على إسرائيل، والتي تعتبر ضروريةٌ للعودة إلى حدود ما قبل الحرب"[١٤٥]، " أمَّا إذا كانت الولايات المتحدة لم ترغم إسرائيل على إنهاء احتلالها؛ فإنَّ ذلك يعود إلى فاعلية اللوبي الإسرائيلي وتصلبه؛ لكن لولا الضغوط التي مارسها اللوبي في الميدان الانتخابي، وعلى الرأي العام، لكانت واشنطن انضمَّت إلى الإجماع الدولي الداعم للانسحاب الإسرائيلي الكامل، ولكان الفلسطينيون تجنَّبوا قدرًا كبيرًا من المعاناة، كانت خيارات إسرائيل ستقل إذا تلقَّت أمرًا بتوضيب أمتعتها للرحيل؛ لكن واشنطن لن تأمر تل أبيب بالانسحاب؛ إلَّا إذا أصبح الاحتلال عبأً كبيرًا عليها، كانت الحصيلة الإجمالية للوبي الإسرائيلي هي رفع العتبة التي تتسبَّب بردٍّ فعلٍ أمريكيٍّ قويٍّ"[١٤٦]، "تتطابق المصالح الإقليمية العريضة لواشنطن وتل أبيب؛ إلَّا أنَّ استعمار إسرائيل للأراضي الفلسطينية هو أمر يعيق المصالح الأمريكية فعلًا، أمَّا إذا كانت الولايات المتحدة تمنح إسرائيل الدعم شبه الكامل في هذه المسألة المحلية؛ فإنَّ ذلك يعود إلى قسوة اللوبي اليهودي وفعاليته، سبق لنا أن أظهرنا أنَّ مستقبل العلاقة ما بين اليهود وإسرائيل يرتبط جزئيًا بالتحليل الذي قدَّمه ميرشايمر ووالت. وإذا كانت حجتهما صحيحةً؛ فإنَّ ذلك يعني أن اليهود الأمريكيين سيعيدون تقويم مساندتهم لإسرائيل؛ لكن بسبب استمرار تطابق المصالح الاستراتيجية لواشنطن وتل أبيب إلى حدٍّ كبيرٍ؛ فمن غير المحتمل أن يتخلَّى اليهود الأمريكيون عن إسرائيل نتيجة الخوف من شبح تهمة الولاء المزدوج"[١٤٧]، لا يعجز القارئ أن يدرك بوضوح إقرار د. فينكلستين بتنفُّذ اللوبي اليهودي في دوائر صنع القرار الأمريكي، وقوَّة تأثيره عليها، مما ينتج عنه استبعاد ما يسعى د. فينكلستين نفسه في مواضع أخرى إلى إثباته من ابتعاد اليهود الأمريكيين عن إسرائيل، وتقلُّص دعمهم لها.

٥. يحاول د. فينكلستين التأكيد على إيمان اليهود الأمريكيين بالقيم الليبرالية، وإثبات ولائهم لأمريكا باعتبارها البلد الذي رعى مصالحهم، ومنحهم التمايز والثراء، ويقلِّل من قيمة رباطهم العرقي بإسرائيل، ويستشهد لذلك بفتور علاقة اليهود الأمريكيين بإسرائيل قبل حرب حزيران ١٩٦٧م، استنادًا إلى أنَّ السبب في ذلك أنَّ إسرائيل لم تكن تعني شيئًا ذا بالٍ للولايات المتحدة قبل ذلك، وعليه فلم يكن لدى اليهود الأمريكيين أيَّ استعدادٍ بأن يخسروا البلاد التي تفضَّلت عليهم، مقابل دعم إسرائيل التي لا تقدِّم لهم نفعًا، ومن خلال هذا الدليل يصرُّ على إثبات أنَّه متى ما تعارضت المصالح اليهودية مع أمريكا فإنَّ اليهود الأمريكيين سيتخلَّون عن إسرائيل بكلِّ بساطة كما فعلوا قبل حرب ١٩٦٧م، وربما يعدُّ

---

(١٤٥) المرجع السابق (ص:١١٧-١١٨).

(١٤٦) المرجع السابق (ص:١٢٣).

(١٤٧) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:١٥٥).

الاختلاف مع د. فينكلستين في هذا التحليل منطقيًّا إذا فُسِّرت فترة الفتور في العلاقة بين اليهود الأمريكيين مع إسرائيل على أنَّها من باب إخفاء المشاعر، والتغطية عليها في سبيل سعي اليهود الأمريكيين لانتهاز الفرص، والحصول على مزايا في المجتمع الأمريكي، بهدف التغلغل في المؤسسة الأمريكية، والتحكُّم بدوائر صنع القرار فيها، وأنَّهم لما تحصَّل لهم ذلك؛ استطاعوا التأثير في الموقف الأمريكي من إسرائيل، بحيث تبَّنت أمريكا دعم إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م علنيًّا، وصرِّح اليهود الأمريكيين بدعمهم اللامحدود لها، وربَّما كان منطلقهم الحقيقي في ذلك الولاء الأساسي لإسرائيل، وتأكيد دعمها وتأييدها، وليس فقط ما يراه د. فينكلستين من وجود توافق بين مصالح الولايات المتحدة بلدهم الأصلي مع إسرائيل.

٦. أشار د. فينكلستين في معرض حديثه عن علاقة الغرب وإسرائيل بإيران بأنَّ ثمة تشاركٌ في المصالح الأمريكية والإسرائيلية في معارضة حصول إيران على الأسلحة النووية، مع إيراده لتصريح رئيول مارك غريشيت - وهو خبير سابق في وكالة الاستخبارات المركزية لشؤون الشرق الأوسط- بأنَّ سعي إيران لحصولها على الأسلحة النووية لا يخلو من حسابٍ منطقيٍّ يتمثَّل في امتلاك باكستان المجاورة لها للنووي، وحيازة العراق المجاورة أيضًا لأسلحة الدمار الشامل، وكذا امتلاك المملكة العربية السعودية المعادية لإيران لصواريخ بعيدة المدى، علاوةً على خوف إيران المتوقع من روسيا، وهو ما يشكِّل تهديدات متعدِّدة تدفع بإيران لتأمين نفسها من خلال امتلاك السلاح النووي، ثم تابع د. فينكلستين بقوله: "أمَّا إسرائيل فتستطيع بطبيعة الحال تدمير الجمهورية الإسلامية. لقيت إيران الهزيمة على يد العراق الذي تفوَّق عليها تكنولوجيًّا مع خسارة ما لا يقل عن نصف مليون رجلٍ، لذلك فهي تعرف جيدًا عواقب عدم امتلاك أسلحة رادعة كافية، يمتلك الإيرانيون العامل الضروري لجعل قواها الرادعة ناجحة، وهو التعقل، إنَّ تحوُّل طهران أو أصفهان إلى رمادٍ هو أمرٌ من شأنه تحطيم الروح الفارسية، وهي الروح التي يحرص عليها بعمق معظم رجال الدين المتشدِّدين، لكن طالما اعتقد الإيرانيون بأنَّ الولايات المتحدة، أو إسرائيل أو أيِّ جهةٍ أخرى في المنطقة قد تنتقم بالأسلحة النووية؛ فإنَّهم لن يفعلوا شيئًا يتصف بالحماقة"[١٤٨]،

٧. ينبغي ألَّا يغيب عن الأذهان - مع أهميَّة تثمين هذه الشهادات والمواقف المنصفة للكاتب وأمثاله، وضرورة الإشادة بها، وتوظيفها إيجابيًا بما يخدم القضية الفلسطينية ويحقق العدالة للشعب الفلسطيني- حقيقة اختلاف هؤلاء القوم معنا في الدين، وحرصهم على كلِّ حالٍ على نصرة مبادئهم وقناعاتهم، كما يتوجَّب الحذر أن تؤدِّي هذه الكتابات بما تظهره من الإنصاف والعدالة إلى تخدير الشعوب المسلمة، أو فرض بعض المفاهيم المغلوطة التي يريد الغرب فرضها عليهم، تحت ستار الدفاع عنهم، (كمثال: محاولة إثبات أن إسرائيل هي العائق وراء تطبيق حل الدولتين، وتأكيد موافقة الدول الإسلامية بما في

(١٤٨) فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٩٩).

ذلك الفلسطينيين عليها[١٤٩])، كما يلزم وجود الوعي الكافي الذي يحمي قناعة الشعب الفلسطيني الأصيلة فيما يخصُّ نضاله ضدَّ إسرائيل، ويمنع من استبدالها بأخرى خاطئة، وكذا يُحذَّر من تحويل اهتمامات المسلمين عن الأهداف الحقيقية للجهاد، وصرفهم عنها (كما في محاولة إثبات أنَّ الدافع وراء الهجمات الإرهابية الفلسطينية ضدَّ إسرائيل هو وقوع الفلسطينيين ضحية للاحتلال الإسرائيلي وبسبب تهجيرهم من أراضيهم وخوفهم المستمر من مضاعفة حرمانهم من أراضيهم وممتلكاتهم، ونفي أن يكون لمبدأ الجهاد في سبيل الله دورٌ في ذلك[١٥٠])، وأخيرًا لا ينبغي أن يقع المسلمون ضحيةً للتلاعب، وفي غفلةٍ عن المماطلة التي تهدف إلى إعطاء إسرائيل المزيد من الوقت لتمكين نفوذها، وتوسيع أراضيها، وتوطين شعبها في فلسطين.

الخاتمـــــــة

أهم النتائج: بعد الخوض في غمار البحث؛ تمخَّض عن النتائج التالية:

١. عُرِّف الإنصاف بأنَّه: استيفاء الحقوق لأربابها، واستخراجها بالأيدي العادلة، والسِّياسات الفاضلة، كما عُرِّف الاعتدال بأنَّه: التزام المنهج العدل الأقوم، والحقِّ الذي هو وسطٌ بين الغلوِّ والتنطُّع، وبين التَّفريط والتقصير.

٢. ثمة ترادفٌ في المعنى بين العدل والإنصاف، فقد يُطلق العدل؛ ويراد به الإنصاف، كما قد يُعبَّر بالإنصاف؛ ويفيد معنى العدل.

٣. حدَّد العلماء مجموعةً من الضوابط، كما رصدوا العديد من العلامات التي يمكن من خلالها التوصُّل إلى معرفة الميزان الصحيح في الحكم على المستشرقين بالاعتدال، كما أشاروا إلى بعض المحترزات التي ينبغي التنبُّه لها وعدم إغفالها أثناء القيام بذلك.

٤. نورمان فينكلستين أمريكيٌّ يهوديٌّ ملحدٌ، من مواليد ١٩٥٣م، نجا والداه من معسكرات الاعتقال النازية، وأثرت معاناتهما في شخصيَّته تأثيرًا بالغًا انعكس على رفضه للظلم، وبغضه للعنصرية.

٥. لفينكلستين العديد من المؤلفات يدور أغلبها حول الشرق الأوسط، والقضية الفلسطينية، والهولوكوست، والصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وغير ذلك، وله مشاركاتٌ إعلاميةٌ عديدةٌ يعبِّر فيها عن آرائه وتوجُّهاته بكلِّ صراحةٍ وجرأةٍ.

٦. يمتاز أسلوب فينكلستين في الكتابة بجودة العرض، وحسن التبويب، وجمال التنظيم، ودقَّة التعبير، كما يمتاز منهجه بعمق الأفكار، وحسن الاستيعاب، وروعة الاستدلالات، والمراوحة بين أكثر من طريقة في عرض الأفكار ونقدها للوصول إلى النتيجة المطلوبة.

٧. يمثِّل كتاب صناعة الهولوكوست تشريحًا لصناعة الهولوكوست، وشجبًا وإنكارًا لها في الوقت نفسه، وقد حاول المؤلف من خلاله إثبات استغلال المنظمات اليهوديَّة

---

(١٤٩) ينظر: فينكلستين، التمادي في المعرفة (ص:٣٩٤-٤١٢).

(١٥٠) ينظر: المرجع السابق (ص:٤٢٧-٤٣١).

الأمريكية للهولوكوست لتبرير جرائم إسرائيل، وانتهاكاتها المتكررَّة لحقوق الشعب الفلسطيني، ولحرف النقد عن سياسات الولايات المتحدة إزاء ذلك.

٨. من أبرز إيجابيَّات كتاب صناعة الهولوكوست؛ ما أحدثه من ضجَّةٍ في الأوساط الغربيَّة حول حقيقة الهولوكوست، وما أبرزه من جوانب أخلاقية وعلمية كالإنصاف والعدالة، والموضوعية والمصداقية، إلى جانب إيراد الشواهد، وإثبات الأدلة على ما يقول.

٩. يعتبر كتاب ما يفوق الوقاحة إدانةً صريحةً وصارخةً على الانتهاكات الإسرائيلية المتكررة لحقوق الشعب الفلسطيني، ويكشف فيه الكاتب عن الحقائق المزورة، والدعايات المضللة، ويفندها من واقع سجلات منظمات حوق الإنسان المختلفة، كما يبرز إساءة استخدام النخب اليهودية للاسامية، وتشويهم للتاريخ من خال استغلال هذه الورقة لتحقيق مصالحهم، وتبرير سياسات إسرائيل القمعية.

١٠. من أبرز إيجابيات كتاب ما يفوق الوقاحة؛ ما يحمله في طياته من إشارةٍ عميقةٍ إلى حجم الجهد المبذول لإثبات التزوير، وكشف الحقائق، والقدر من الجرأة والشجاعة والمسؤولية التي تقف وراء الدافع إليه، كما تميَّز بجودة اللغة، وحضور التشويق، حسن التقسيم والتنظيم، وضمَّ في ثناياه الكثير من المواضع التي تستحق الإشادة والتكريم.

١١. من أبرز المآخذ على كتاب ما يفوق الوقاحة؛ تأخير هوامشه إلى آخر الكتاب، وسعة حجمه، واستخدامه بعض المصطلحات الغربية دون شرحٍ، وغياب الحلول العملية الواقعية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

١٢. يسعى الكاتب من خلال كتاب التمادي في المعرفة لإثبات تقلُّص دعم اليهود الأمريكيين لإسرائيل، وتأكيد مشارفة العلاقات بينهما على الانتهاء، بسبب عدم قدرة اليهود الأمريكيين على الموازنة ما بين المبادئ والقيم الليبرالية التي يؤمنون بها، وبين ما تنتهجه إسرائيل من سياسةٍ قمعيَّةٍ تجاه شعب فلسطين.

١٣. من أهمِّ المآخذ على كتاب التمادي في المعرفة؛ عدم التعريف بالمصطلحات الغريبة، وغموض المعنى في بعض المواضع، وسعي الكاتب لمعارضة الواقع المشاهد من استمرار علاقة اليهود الأمريكيين بإسرائيل، بل ومتانتها، وحشده العديد من الأدلة غير الواقعية في سبيل إثبات ذلك.

أبرز التوصيات: إلى جانب نتائج البحث؛ فتوصي الباحثة بالآتي:

١. إنشاء مركز دراسات مختصٍّ بالغرب يقابل مراكز الدراسات الاستشراقية التي ينطلق منها الغرب لتحقيق أهدافهم السياسية والاقتصادية والعسكرية؛ بحيث يكون هذا المركز نواةً لكلِّ الأبحاث والدراسات حول الغرب في البلاد الإسلامية والعربية، ويهدف إلى فهم الفكر الغربي والعقلية الغربية فهمًا عميقًا يُنطلَق منه في دعوتهم إلى الإسلام من جهةٍ، وتُواجه به مخطَّطاتهم ضدَّه من جهةٍ أخرى.

٢. إنشاء مراكز مختصة بدراسة علم الاجتماع الغربي وأنثروبولوجيا الغرب؛ بهدف التعرُّف على التكوين الاجتماعي للشعوب الغربية، وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وما إلى

ذلك؛ مما يفيد في فهم النفسية الغربية، والروابط الاجتماعية لدى الغرب، ويعين تبعًا لذلك في معرفة نقاط الضعف والقوة لديهم، كما يفيد في التعرُّف على الأساليب المثلى للتأثير فيهم، واستمالتهم للإسلام، واتِّقاء مكرهم وكيدهم.

٣. الاستفادة من وجود عددٍ كبيرٍ من المسلمين المواطنين في بلاد الغرب في تزويد مراكز الدراسات المعنية بدراسة الغرب بالمعلومات الصحيحة والعميقة عن المجتمع الغربي وفكره وقيمه وأخلاقه وعاداته وتقاليده، وتجنيد فرق خاصَّة ومؤهلة منهم للقيام بهذه المهمة.

٤. اعتماد الجامعات المشتملة على أقسام في الدراسات الاستشراقية تدريس اللغة الإنجليزية كمتطلَّب أساسي ضمن الخطة المنهجية لدراسة الاستشراق، بالإضافة إلى مقررات اختيارية تشمل تدريس اللغات الأجنبية الأخرى؛ واستقطاب الأساتذة المتميِّزين للتدريس فيها؛ حتَّى تكون مخرجاتها العلميَّة متميِّزة وقادرة على استيعاب التراث الغربي ذاتيًّا، ولتصبح هذه الأقسام فيما بعد مرجعًا معتمدًا وموثوقًا في ترجمة تراث الغرب ونتاجه الفكري.

٥. بناء علاقات مستمرة وموجَّهة مع المستشرقين الذين يظهرون قدرًا من الإنصاف والاعتدال تجاه الإسلام وقضايا المسلمين؛ بهدف تعريفهم بالإسلام من مصادره الصحيحة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة لديهم، ومناقشة القضايا الملتبسة عليهم.

٦. ضرورة سعي المسلمين عمليًّا لامتلاك أسباب القوة بمختلف أنواعها؛ العلمية والاقتصادية والصناعية والتكنولوجية والعسكرية والسياسية وغيرها؛ لتكون لهم الريادة على الأمم، وأهميَّة جديَّتهم في التخطيط الدقيق، والإعداد المنظم لبلوغ ذلك، مع الإفادة من نتائج مراكز الدراسات المختصة بالغرب لاقتباس المفيد، ومعرفة الثغرات، وإدراك حجم المؤامرات.

٧. توظيف القيادات الإسلامية للاختلافات الموجودة بين الأحزاب اليهودية، والصدامات الناتجة عنها في تعميق هوَّة الفرقة، وإشعال فتيل النزاع بينهم، وضرب بعضهم ببعض، فيما يخدم القضية الفلسطينية، ويصبُّ في مصلحة الإسلام والمسلمين، استئناسًا بما فعلَه نعيم بن مسعود الغطفاني س بأمر رسول الله ρ في غزوة الأحزاب[١٥١].

٨. إنشاء مركز مختص بالتعريف بالقضية الفلسطينية، ومعني بتبليغ رسالتها لأنحاء لعالم بمختلف اللغات، ومهتم برصد ردود الأفعال الإيجابية والسلبية، وتمحيصها وتوظيفها إيجابيًا فيما يخدم القضية الفلسطينية.

٩. إحياء القضية الفلسطينية في حياة المسلمين من خلال الاستمرار بتسليط الضوء عليها في وسائل الإعلام، وتوصيل رسالتها إلى كافَّة أنحاء العالم بلغاته المختلفة.

١٠. توظيف الأعمال الأدبية والفنية والمسرحية والسينمائية في التعريف بالقضية الفلسطينية، وإبراز الظلم الواقع على أهل فلسطين، واستنفار النخوة والمروءة والشهامة

(١٥١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية (٢٢٩/٢).

لنصرتهم، ثمَّ العناية بترجمة هذه الأعمال إلى مختلف لغات العالم، والحرص على نقل الصورة الصحيحة إلى أهل تلك البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب:

١. ابن أبي سلمى. زهير المزني. **ديوان زهير بن أبي سلمى**. تقديم: علي حسن فاعور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢. ابن فارس. أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة**. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

٣. ابن مالك. محمد بن عبد الله الجياني. **نظم لامية الأفعال**. ضبط: أبو مالك العوضي. بدون بيانات نشر.

٤. ابن منظور. محمد بن مكرم. **لسان العرب**. تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب؛ ومحمد الصادق العبيدي. ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٥. ابن هشام. عبد الملك بن أيوب المعافري. **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي. ط٢. مصر: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده. ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٦. أبو داوود. سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داوود**. تخريج: زبير علي زئي. د.ط. الرياض: دار السلام. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٧. الألباني. محمد ناصر الدين بن الحاج الأشقودري. **صحيح وضعيف سنن أبي داوود**. برنامج منظومة التحقيقات الحديثية من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية

٨. البخاري. محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. ط١. الرياض: دار السلام. ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٩. بدر الدين. محمد بن محمد الجياني. **خلاصة الأقوال على شرح لامية الأفعال**. تحقيق: أحمد بن إبراهيم المغيني. ط٢. القاهرة: المكتبة الإسلامية. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

١٠. الجاحظ. عمرو بن بحر الكناني. **تهذيب الأخلاق**. ط١. طنطا: دار الصحابة. ١٤١٠هـ -١٩٨٩م).

١١. الجرجاني. علي بن محمد. **التعريفات**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٣ه -١٩٨٣م.

١٢. الجوهري. إسماعيل بن حماد. **تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤ بيروت: دار العلم للملايين. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٣. الذهبي. محمد بن أحمد بن عثمان. **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: علي أبو زيد، وشعيب الأرناؤوط. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤. الزبيدي. محمد بن محمد الحسيني. **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق:

إبراهيم الترزي. ط١. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٥. السويدان. طارق. **تاريخ فلسطين المصور**. د.ط. د.م. مؤسسة الإبداع الفكري. د.ت.

١٦. العسكري. الحسن بن عبد الله. **الفروق اللغوية**. تحقيق: محمد إبراهيم سليم. د.ط. القاهرة: دار العلم والثقافة. د.ت.

١٧. الفيروز آبادي. محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط٨. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٦ه-٢٠٠٦م.

١٨. فينكلستين. نورمان جاري. **التمادي في المعرفة**. ترجمة: سعيد محمد الحسنية. ط١. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

١٩. فينكلستين. نورمان جاري. **صناعة الهولوكوست**. ترجمة: سماح إدريس، وأيمن حداد. ط١. بيروت: دار الآداب. ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٠. فينكلستين. نورمان جاري. **ما يفوق الوقاحة**. ترجمة: أيمن حداد. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢١. مسلم. مسلم بن حجاج القشيري. **صحيح مسلم**. ط١. القاهرة: دار ابن حزم. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٢. المناوي. عبد الرؤوف بن علي. **التوقيف على مهمات التعاريف**. ط١. القاهرة: عالم الكتب. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

ثانيًا: المعاجم والموسوعات العلمية:

١. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية. صليبا. جمال. د.ط. بيروت: دار الكتاب اللبناني. ١٩٨٢م-١٤٠٢هـ.

٢. المعجم الوسيط. الزيات. أحمد؛ ومصطفى. إبراهيم؛ وعبد القادر. حامد؛ والنجار. محمد. منشورات مجمع اللغة العربية. ط٤. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣. معجم مصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية). عبد الكافي. إسماعيل عبد الفتاح. بدون بيانات نشر.

٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إشراف وتخطيط ومتابعة: الجهني. مانع بن حماد. ط٤. الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ρ. إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: ابن حميد. صالح بن عبد الله؛ وابن ملوح. عبد الرحمن بن محمد.

ط١. جدة: دار الوسيلة. ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

ثالثًا: الأبحاث والمقالات العلمية:

١. العقل. ناصر بن عبد الكريم. **مفهوم الوسطية والاعتدال**. بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو.
٢. الهاشمي. محمد البشير. **منهج المستشرقين بين معايير الإنصاف وضوابط المصداقية**. مجلة المنهاج. السنة: الرابعة. العدد: السادس عشر. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

رابعًا: المواقع الالكترونية:

١. برنامج بلا حدود. صناعة الهولوكوست. على موقع الجزيرة نت. على الرابط: http://cutt.us/WUii.
٢. برنامج بلا حدود. وسائل الإعلام بمنظار الإدارة الأمريكية. موقع الجزيرة نت. على الرابط: http://cutt.us/Vbb٧.
٣. تقرير (العربية نت) الأسبوعي للكتاب. موقع قناة العربية. على الرابط: http://cutt.us/mXdZh.
٤. التمادي في المعرفة. موقع مجلة السياسة. على الرابط: http://cutt.us/jMRT.
٥. التمادي في المعرفة. موقع نيل وفرات. على الرابط: http://cutt.us/uWcI١.
٦. الجسر. القصة الكاملة لأكذوبة المحرقة اليهودية (الهولوكوست). موقع شبكة فلسطين للحوار. على الرابط: http://cutt.us/GATh١.
٧. الحجة. رشيد. قراءة لكتاب (لقد تجاوزنا كثيرًا هذه المرة، لنورمان فنكلستين). موقع الحرية. مجلة التقدميين العرب على الإنترنت. على الرابط: http://cutt.us/zszMQ.
٨. حيدر. خليل علي. رواية الخروج. صحيفة الوطن. على الرابط: http://cutt.us/xGpd٦.
٩. الدسوقي. محمد بن علي. بيت المقدس إنما هو حق للمسلمين. موقع صيد الفوائد. على الرابط: http://cutt.us/IjD٢٨.
١٠. الشبيب. بدر شبيب. مثقفون خارج المزاد. شبكة أم الحمام. على الرابط: http://cutt.us/SLuGD.
١١. صعود وأفول فلسطين. موقع رفّي. على الرابط: http://cutt.us/VSzE٩.
١٢. صعود وأفول فلسطين. موقع نيل وفرات. على الرابط: http://cutt.us/JshW٠.
١٣. صناعة الهولوكوست. موقع نيل وفرات. على الرابط: http://cutt.us/QbCmK
١٤. الفهرس العربي الموحد. على الرابط: http://cutt.us/veeCY.

١٥. كاتب أمريكي يكشف الوجه الآخر لغاندي. مجلة الوطن. على الرابط: http://cutt.us/eJV٥.
١٦. الليبي. السياسي. عندما يعشق الإنسان الحقيقة. موقع السياسي الليبي. على الرابط: http://cutt.us/٦PA٤h.
١٧. ليس كل اليهود صهاينة: نورمان فينكلستين نموذجًا. منتديات الجلفة لكل الجزائريين والعرب. على الرابط: http://cutt.us/oaPw .
١٨. ما بعد الصفاقة. goodreads. الرابط: http://cutt.us/٤w٧U.
١٩. ما بعد الصفاقة. مكتبة قضايا. على الرابط: http://cutt.us/ftvM٥.
٢٠. ما يفوق الوقاحة. المكتبية الرقمية العربية. على الرابط: http://cutt.us/Oa٨V.
٢١. ما يفوق الوقاحة. مكتبة نون. على الرابط: http://cutt.us/CcT٧P.
٢٢. محمد. شاهر. فلسطين للمسلمين بالفتح العمري وبطلان نظرية (الحق التاريخي). موقع مجلة الوعي. على الرابط: http://cutt.us/olVE.
٢٣. معلومات عن الكاتب السياسي: نورمان فنكلستاين (رجل يهودي شجاع). موقع سبلة عمان. على الرابط: http://cutt.us/NQ٩p٢.
٢٤. مناع. عادل. هل لليهود حق في فلسطين؟ موقع صيد الفوائد. على الرابط: http://cutt.us/YbgWu.
٢٥. نورمان فنكلستين. موقع ktab. على الرابط: http://cutt.us/LY٩SI.
٢٦. نورمان فنكلشتاين. صحيفة الوسط. على الرابط: http://cutt.us/ ١٠٣w١A.
٢٧. نورمان فينكلستين. حوار: لا أريد الشهرة لأنني لا أريد أن أخون الحقيقة. أجرى الحوار: ديفيد سامولز. الأحد: ١٧/يونيو/٢٠١٢م. على الرابط: http://cutt.us/H٢Ie.
٢٨. نيرشتاين. فياما. اللاسامية الكلاسيكية لم تعد تشكِّل التهديد الرئيسي. منتدى مكافحة السامية (CFCA). على الرابط: http://cutt.us/WiJn.
٢٩. الهولوكوست التمثيلية الكبيرة. موقع طريق الإسلام. على الرابط: http://cutt.us/GDRiB.

خامسًا: مقاطع اليوتيوب:

١. برنامج أصدقاء العرب. نورمان فينكلستين. قناة الجزيرة. على الرابط: http://cutt.us/Ra٢B.
٢. برنامج أكثر من رأي. حل الدولتين بين الوعود والممارسات الإسرائيلية. قناة الجزيرة. على الرابط: http://cutt.us/zn٥Ut.
٣. بروفيسور فينكلستين يفحم السفير المصري. على الرابط: http://cutt.us/a٨QL.
٤. حقيقة كذبة الهولوكوست. على الرابط: http://cutt.us/P١٠akI.

٥. حوار الساعة مع المفكر الأمريكي نورمان فينكلستين. قناة الميادين. على الرابط: http://cutt.us/SxyH.
٦. رأي الكاتب اليهودي نورمان فينكلستين في حزب الله. على الرابط: http://cutt.us/GFmXq.
٧. كلمة الأمين العام لحزب الله حول آخر التطورات في لبنان والمنطقة. على الرابط: http://cutt.us/q4NH.
٨. كلمة الأمين العام لحزب الله حول التصعيد السعودي والتطورات. على الرابط: http://cutt.us/BMOQ٣.
٩. مفكر أمريكي يرد على طالبة يهودية. على الرابط: http://cutt.us/kDJwT.
١٠. مقابلة مع السيد: finkelstein. على الرابط: http://cutt.us/VRjK.
١١. مناظرة نورمان فينكلستين وشلومو بن عامي. قناة الديمقراطية الآن. على الرابط: http://cutt.us/agNL.
١٢. مؤتمر أحرار العالم ضد الانقلاب في مصر. على الرابط: http://cutt.us/XKknV.
١٣. وثائقي. نورمان فينكلستين (يهودي ضد التيار). الجزء (١). على الرابط: http://cutt.us/LWQr٤.
١٤. وثائقي. نورمان فينكلستين (يهودي ضد التيار). الجزء (٢). على الرابط: http://cutt.us/KAMf.

سادسًا: موسوعة ويكيبيديا:

١. حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. موسوعة ويكيبيديا. على الرابط: http://cutt.us/NNdW١.
٢. حل الدولتين. موسوعة ويكيبيديا. على الرابط: http://cutt.us/sMdr
٣. ديماغوجيا. موسوعة ويكيبيديا. على الرابط:http://cutt.us/KYPB .
٤. نورمان فينكلشتاين. موسوعة ويكيبيديا. على الرابط: http://cutt.us/UTNZD.